دلائل الحق

أسئلة وردود في العقيدة الإسلامية

المجموعة الحادية عشرة

إعداد

مركز الدليل العقائدي





مركز بحثي متخصص في الرد على شبهات المخالفين والمشككين

إعداد: مركز الدليل العقائدي

الإجابات والردود: السيد مهدي الموسوي الجابري

الشيخ خالد السويعدي البغدادي

التدقيق والتصحيح اللغوي: الشيخ تحسين غازي البلداوي

التصميم والإخراج الفني: محمد مهدي عبد الإله الجابري

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ٢٠٢٣ م / ١٤٤٤هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسلامُ الأتمّانِ الأكملانِ على سيّدِ الأوّلينَ والآخرين وأشرفِ الخلقِ أجمعين، سراج المهتدين، والمبعوث رحمة للعالمين، المصطفى محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.. وبعد:

انطلاقًا من قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[(١)]، أخذ مركز الدليل العقائدي على عاتقه التصدّي للشُّبُهاتِ التي تطال العقيدةَ الإسلامية عمومًا، والتعريفَ بعقائدِ الشيعة الإماميّة خصوصًا، مع التصدي للرد على كلِّ الشبُهات التي تطال المذهبَ الشيعيَّ خاصة، هذا المذهب الشريف الذي أَسَّس بنيانَه، ووَضَع لبناتِه الأُولى النبيُّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم حين قال في حديثٍ صحيح: «إني تاركٌ فيكم خليفتين: كتاب الله حبلٌ ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يتفرَّقا حتى يردا عليّ الحوض»، وما تلاه من بياناتٍ وأحاديث متضافرة تحثّ على التمسُّك والأخذ والمتابعة للثقلين «الكتاب والعترة» معًا، كهذا الحديث الصحيح: «إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يِردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»، وغيرها من الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في هذا الجانب، التي يكاد المنصفُ أن يقول بتواترها، بل هي متواترة فعلًا، لتضافر نقلها عند جميع الفِرَق الإسلامية على اختلاف مشاربهم الفقهية والعقَدية.

---

(١) فصلت: ٣٣.

وكل هذه الردود إنما تجري على وفق أسسٍ علمية ومنهجية سليمة، بعيدةٍ عن التعصُّب الأعمى والانغلاق المقيت، فالعلمُ هو السلاح الوحيد النافذ الذي يصح الاحتجاج به، وما عداه لا قيمةَ له، وقد نُسِب إلى سيد الموحِّدين أميرِ المؤمنين مولانا عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السلام قوله:

ففُزْ بعلمٍ ولا تطلُبْ به بدلًا فالناسُ مَوتى وأهلُ العِلم أحياءُ

وعلى وفق هذه المعطَيات جاءت المجموعةُ الحادية عشرة من الأسئلة والردود في العقيدة الإسلامية، وهي جزءٌ من سلسلةٍ من الكتبِ تحت عنوان (دلائل الحق)، آملين أنْ تجدوا فيه ما ينفعُكم في أمور دينِكم ودنياكم وآخرتكم، ونأمل أنْ تزدادوا بصيرةً بوقوفكم على حقائقَ نَفضْنا عنها غبارَ الشُّبهات بعد أنْ أثارها العابثون، وأسدلوا عليها ستارَ التضليل، ونرجو أنْ تكون هذه السلسلة نبراسًا لحلِّ ما التبس على بعضِ الناس من مسائلِ العقيدة، وإنارةِ السبيل لهم، وأنْ يجدوا فيها ضالَّتهم، وإجابةَ مسألتِهم.

ونسأل الله أنْ يَجمعَ شمْل المسلمين، ويزيدَ من عوامل التقائهم وأُلْفتِهم، ويجنِّبهم شرّ التطرُّف والمتطرِّفين، وشرّ الكفّارِ والملحدين، وأنْ تكون كلمةُ الله هي العليا، وكلمةُ الكفّار والمنافقين هي السُّفلى.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين، وصلى اللهُ على خير خلقه أجمعين، محمدٍ وآلِه الطيبين الطاهرين.

مهدي الموسوي الجابري
النجف الأشرف
١٠ رمضان – ١٤٤٤هـ
الموافق ٢٠٢٣م

محبةُ أهل البيت من محبةِ رسول اللّه ومحبته من محبة اللّه

المستشكل: نايف محمد

الإشكال: حبُّ آل البيت شيء واتباعهم شيء آخر.. فإنْ كان اتباعهم لكونهم اتبعوا النبي فاتباع النبي إذن هو الأصل، وهو الأولى، وهذا ما فعله أهل السُّنة، فهم أخذوا عن النبي، وقصروا الاتباع عليه.. وإن كان اتباعهم لكونهم على أمرٍ إضافي أو مخالف لما كان عليه النبي، فهنا يجب أن تقولوا بنبوتهم أولًا ونسخ نبوة النبي ﷺ، وإلا عندكم رأي آخر؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

ما ذكره المستشكل إنما هو تخبُّطٌ وتخليط، فالاتباع من لوازم الحُب، ولا يمكن بحالٍ التفكيك بين اللازم والملزوم، والحب وإن كان من

أعمال القلوب، إلا أنه لا بد وأن تظهر آثاره على الجوارح قولًا وعملًا، وأقوى شاهدٍ على صدق الحب هو موافقة المحب لمحبوبه، وبدون هذه الموافقة يكون الحبُّ دعوى كاذبة، فالاتباع هو دليل المحبة الأول وشاهدها الأمثل، وهو شرطُ صحةٍ فيها، وبدونه لا تتحقق المحبة، ولا تُتَصوَّر بمعناها الصحيح.

والله تعالى قد جعل محبته موجبةً لاتباع رسوله، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[(١)]، فاتباع الرسول ﷺ هو البرهان العظيم على صدق دعوى المحبة، قال ابن كثير: «قال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قومٌ أنهم يحبون الله، فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾»[(٢)].

وقال ابن تيمية في فتاواه: «فكل من ادَّعى أنه يحب الله، ولم يتبع الرسول؛ فقد كذب»[(٣)].

وقد ثبت أن قول رسول الله ﷺ قائمٌ مقام قول الله عز وجل، بنص القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[(٤)]، وثبتت "بالتواتر القطعي" وصيته ﷺ لأمته بالتمسك بالثقلين (الكتاب

---

(١) آل عمران: ٣١.
(٢) تفسير ابن كثير، ج٢، ص٣٢.
(٣) مجموع الفتاوى، ج٨، ص٣٦٠.
(٤) الحشر: ٧.

والعترة) في حديثٍ عظيم، صححه علماء أهل السُّنة بمختلف طرقه وألفاظه، وصرحوا بدلالته التامة على لزوم أخذ علوم الدين عن أهل البيت عليهم السلام كما تؤخذ عن القرآن، وهذا نصه عن مصادر أهل السُّنة:

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[(١)].

وجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ آخر: «إني تاركٌ فيكم خليفتين: كتاب الله، حبل ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض»[(٢)].

وقد صحح الحديث المذكور على مختلف ألفاظه من لزوم الأخذ والاتباع والتمسك بالعترة كثيرٌ من علماء أهل السنة غير من ذكرناه، أمثال: ابن حجر العسقلاني، وابن كثير، والطحاوي، والحاكم النيسابوري، والذهبي، والبوصيري[(٣)].

(١) مختصر صحيح الجامع الصغير للسيوطي والألباني، رقم الحديث:١٧٢٦-٢٤٥٨.

(٢) صحيح الجامع الصغير للألباني، ج١، ص٤٨٢؛ مسند أحمد بن حنبل، برقم:٢١٦٥٤، تصحيح شعيب الأرناؤوط.

(٣) ينظر على الترتيب: المطالب العالية، ج٤، ص٦٥، برقم:٣٩٧٢؛ تفسير ابن كثير، ج١٢، ص٢٧١، شرح مشكل الآثار، ج٥، ص١٨؛ المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٤٨، تلخيص المستدرك، للذهبي؛ إتحاف الخيرة المهرة، ج٩، ص٢٧٩.

وقد شرح علماء أهل السُّنة أنفسهم المراد من هذا الحديث، وبينوا دلالته:

فقد قال الملا علي القاري في "المرقاة شرح المشكاة" في شرحه لحديث الثقلين: «والمراد بالأخذ بهم: التمسك بمحبتهم ومحافظة حرمتهم والعمل برواياتهم والاعتماد على مقالتهم»(١).

وقال الدهلوي في "التحفة الاثني عشرية": «هذا الحديث -أي: حديث الثقلين- ثابت عند الفريقين: أهل السُّنة والشيعة، وقد علم منه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا في المقدمات الدينية والأحكام الشرعية بالتمسك بهذين العظيمي القدر، والرجوع إليهما في كل أمر، فمن كان مذهبه مخالفًا لهما في الأمور الشرعية اعتقادًا وعملًا فهو ضالٌّ، ومذهبه باطلٌ، لا يُعبأ به، ومن جحد بهما غوى، ووقع في مهاوي الردى»(٢).

وجاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضًا - في "أشعة اللمعات في شرح المشكاة" قوله: «لقد كرر هذه الكلمة للمبالغة والتوكيد، وهي إشارة إلى وجوب أخذ السُّنة منهم، كما أن الأولى إشارة الى الأخذ بما في الكتاب. فعلى جميع الذين آمنوا أن يكونوا مطيعين لأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم»(٣).

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج١١، ص٣٠٧.
(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية، ص٥٢، والدهلوي هو شاه عبد العزيز (١١٥٩-١٢٣٩) كبير علماء الهند من أهل السنة في عصره.
(٣) أشعة اللمعات في شرح المشكاة، ج٤، ص٦٧٧.

ومـراد الدهلـوي مـن تكـرار الكلمـة هـو مـا ورد في أحـد نصـوص حديـث الثقلـين بأنـه ﷺ قـال ثـلاث مـرات: «أذكركـم الله في أهـل بيتـي»[١].

قال الزرقـاني المالكـي في شرح هـذه الجملة: «قـال الحكيـم الترمـذي: حـضَّ على التمسك بهـم؛ لأنّ الأمـر لهـم معاينـة، فهـم أبعـد عن المحنـة»[٢].

وقـال التفتـازاني بعـد أن ذكـر الحديـث: «أ لا يُـرى أنـه (صـلى الله عليـه وسـلم) قرنهـم بكتـاب الله تعـالى في كـون التمسـك بهـما منقـذًا عـن الضلالـة؟! ولا معنـى للتمسـك بالكتـاب إلا الأخـذ بـه بـما فيـه مـن العلـم والهدايـة، فكـذا في العـترة»[٣].

وقـال المباركفـوري في شرحـه عـلى الترمـذي: «(فانظـروا كيـف تخلفـوني) بتشـديد النـون، وتخفف أي: كيـف تكونـون بعـدي خلفـاء، أي: عاملـين متمسـكين بهـما»[٤].

وعـن ابـن الأثـير في "النهايـة": «(إني تـاركٌ فيكـم الثقلـين: كتـاب الله وعـترتي) سـمّاهما ثقلـين؛ لأن الأخـذ بهـما والعمـل بهـما ثقيـل. ويقـال لـكل شيء خطير نفيس: ثقـل، فسـمّاهما ثقلـين لقدرهمـا وتفخيـمًا لشـأنهما»[٥].

---

(١) صحيح مسلم، ج٤، ص١٨٧٣، برقم: ٢٤٠٨.
(٢) شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنّية، ج٩، ص٢٤٦.
(٣) شرح المقاصد، ج٣، ص٥٢٩.
(٤) تحفة الأحوذي في شرح الترمذي، ج١٠، ص١٩٧.
(٥) النهاية في غريب الحديث، ج١، ص٢١٦.

وعن النووي في شرحه على مسلم: «قوله (صلى الله عليه وسلم): (وأنا تاركٌ فيكم ثقلين) فذكر كتاب الله وأهل بيته. قال العلماء: سُمِّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل: لثقل العمل بهما»[(١)].

وعن المناوي الشافعي في "فيض القدير": «وفي هذا مع قوله أولًا (إني تارك فيكم) تلويح، بل تصريح بأنهما كتوأمين، خلفهما ووصى أمته بحسن معاملتهما وإيثار حقهما على أنفسهم والاستمساك بهما في الدين...»[(٢)].

فهذه كلمات الأعلام من أهل السُّنة، تجدهم يتفقون على دلالة حديث الثقلين على لزوم التمسك بالعترة وأخذ علوم الدين وأحكامه عنها، تمامًا كما يؤخذ عن القرآن، وأن الأخذ عن العترة عاصم من الضلال كما هو الشأن في الأخذ عن القرآن.. ولذلك ربط بين كتاب الله وأهل بيته (صلوات الله عليه وعليهم) لنفاستهما وعظم حرمتهما، وصعوبة القيام بحقهما، وأنهما طريقا النجاة في الدنيا والآخرة لمن عرف حقهما.

فهذا الحديث العظيم التام السند والدلالة بشهادة علماء أهل السنة هو من لوازم محبة أهل البيت عليهم السلام واتباعهم ومعرفة فضلهم والثناء عليهم والدفاع عنهم وصون حرمتهم.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٥، ص١٨٠.
(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج٣، ص٢٠.

فمحبة أهل البيت عليهم السلام من محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومحبته من محبة الله عزّ وجلّ، فمن أحبهم فقد أحب النبيّ، ومن أحب النبي فقد أحب الله تعالى، ومن أحب الله تعالى أحبه الله، وغفر له.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



مسألةٌ في تفسير الآية ٣٢ من سورة سبأ

السائل: المندلاوي

السؤال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. مسألة في تفسير سورة سبأ الآية ٢٣.

١/ الكلام الذي يخصّ الشفاعة، هل هذا في الدنيا أو في الآخرة؟

٢/ من السائل؟ ومن المخاطب؟

٣/ من القائل (قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير)؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الآية مورد السؤال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[1].

---

(١) سبأ: ٢٣.

جواب السؤال (١):

كلا الاحتمالين واردان، ولكنّ الجملة التي تلي ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾، تدلّل على أنّ المقصود هو شفاعةُ الآخرة؛ لأنّه في ذلك اليوم تهيمن الوحشة والاضطراب على القلوب، ويستولي القلق على الشافعين والمشفوع لهم، بانتظار أن يروا لمن يأمر الله بجواز الشفاعة؟ وعلى من ستجوز تلك الشفاعة؟ وتستمرّ حالة القلق والاضطراب حتّى حين.. فيزول ذلك الفزع والاضطراب عن القلوب بصدور الأمر الإلهي.

فذلك يوم الفزع، وعيون الذين يطمعون بالشفاعة تعلّقت بالشفعاء، ملتمسةً منهم الشفاعةَ بلسان الحال أو بالقول. ولكنّ الشفعاء أيضًا ينتظرون أمرَ الله، كيف؟ ولمن سيجيز الشفاعة؟ ويبقى ذلك الفزع وذلك الاضطراب عامًّا، إلى أنْ يصدر عن الحكيم المتعالي أمره بخصوص المتأهّلين للشفاعة.

جواب السؤال (٢و٣):

﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ القائلون هم الذين يطلبون الشفاعة، ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ والقائلون هنا هم الشفعاء.

قال صاحب تفسير الأمثل: «حينما يتواجه الفريقان، ويتساءلان، أو أنّ المذنبين يسألون الشافعين: (قالوا: ماذا قال ربّكم؟) فيجيبونهم: (قالوا: الحقّ)، وما الحقّ إلّا جواز الشفاعة لمن لم يقطعوا ارتباطهم

تمامًا مع الله، لا للذين قطعوا كلّ حلقات الارتباط، وأضحوا غرباء عن ورسوله وأحبّائه.

وتضيف الآية في الختام (وهو العلي الكبير) وهذه العبارة متمّمة لما قاله "الشفعاء"، حيث يقولون: لأنّ الله عليٌّ وكبير، فأيّ أمر يصدره هو عين الحقّ، وكلّ حقّ ينطبق مع أوامره»[1].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) تفسير الأمثل، ج١٣، ص٤٤٠-٤٤١.

علاقة قوله تعالى: ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ بمسألة الإمام المهدي عليه السلام

السائل: المندلاوي

السؤال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. طيب الله أوقاتكم بكل خيرٍ وصحةٍ وعافية، وفقكم المولى عز وجل لخدمة محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين .. سؤال عن تفسيرِ آخر ٤ آيات من سورة سبأ، أي من الآية ٥١ إلى الآية ٥٤ .. وهل لها علاقة بالإمام صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الآيات التي وقع السؤال عنها هي، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ * وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ

مَكَانٍ بَعِيدٍ * وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾[١].

جاء في تفسير هذه الآيات عدة آراء، نذكر منها على نحو الإيجاز ما يأتي:

الأول: عقاب الآخرة.

الثاني: عذاب الموت.

الثالث: عذاب الدنيا.

إلا أن الوارد في الروايات من طرق الفريقين "الشيعة والسُّنة" أن مصداق هذه الآية هو جيش السفياني، حيث تُخسف بهم الأرض وسط الطريق ﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾، حيث إنهم وقعوا في العذاب الإلهي من أقرب النقاط لهم، وهي الأرض التي تحت أقدامهم[٢].

وقد وردت أحاديث كثيرة بهذا المضمون في كتب السُّنة عن ابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة وحذيفة وأم سلمة وعائشة، كلهم ينقلون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد جاء في "الدر المنثور": «أخرج الحاكم، وصححه عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخرج رجلٌ يقال له

(١) سبأ: ٥١-٥٤.
(٢) انظر: تفسير الأمثل، ج١٣، ص٣٥٥.

السفياني في عمق دمشق، وعامة من يتبعه من كلب، فيقتل حتى يبقر بطون النساء، ويقتل الصبيان، فيجمع لهم قيس، فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلعة، ويخرج رجلٌ من أهل بيتي، فيبلغ السفياني، فيبعث إليه جندًا من جنده، فيهزمهم، فيسير إليه السفياني بمن معه حتى إذا صار ببيداء من الأرض خُسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم»[(١)].

قال العلامة الطباطبائي في "الميزان": «والرواية مستفيضة من طرق أهل السُّنة مختصرة أو مفصلة، وقد رووها من طرقٍ مختلفة عن ابن عباس وابن مسعود وحذيفة وأبي هريرة وجد عمرو بن شعيب وأم سلمة وصفية وعائشة وحفصة أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونفيرة امرأة القعقاع وعن سعيد ابن جبير موقوفًا»[(٢)].

كما وردت تلك الأحاديث مفسِّرة هذه الآية في كثيرٍ من كتب التفسير الشيعية، كتفسير القمي، والصافي ومجمع البيان ونور الثقلين، فانظر ذلك.

وبحسب التفسير المتقدم والروايات الواردة في تفسير الآيات "محل السؤال" يُعلم أن لتلك الآيات المباركات علاقةً واضحة بمسألة ظهور الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه).

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) الدر المنثور ج٥، ص٢٤١.
(٢) تفسير الميزان، ج١٦، ص٣٩٣.

أخطاء في سؤالِ «مَن خلق اللّه»

السائل: أبو ياسر آل فرج الله

السؤال: السلام عليكم، أرجو منكم أن تبيِّنوا لي الإشكال والأخطاء في سؤال الملحدين، وهو: (مَن خلق اللهَ؟) حيث إنني وجدت ردودًا كثيرة على هذا السؤال في مواقع التواصل الاجتماعي، ولكنْ لم تكن تبيَّن فيها أخطاء هذا السؤال، فهل هو مخالفٌ للعلم والعقل والمنطق، أو لا، هو سؤال يمكن طرحه من ناحية علميّة؟ أرجو من حضراتكم بيانَها إن أمكنكم ذلك، وشكرًا لكم.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذا السؤال في الواقع يساوي سؤالًا آخر هو: ما بدايةُ الشيء الذي لا بِداية له؟ ويساوي سؤالًا ثالثًا هو: ما بداية الشيء الذي لا بدايةَ له؟ ويساوي سؤالًا رابعًا هو: من الذي سبق الشيء الذي لا يسبقه شيء؟

فهـذا السـؤال (مَـن خلـق اللهَ؟) وجميـع الأسـئلة السـابقة المساوية لـه، هـي في غايـة السـخف والفسـاد، لاسـتحالة السـؤال بذلـك وعـدم منطقيَّتهـا.

ولبيـان عـدم منطقيّـة هـذا السـؤال نفـترض افتراضًـا واقعيًّـا، وهـو أنـك إذا دخلـت إلى مكتبـك، ووجـدت كتابًـا موضوعًـا عـلى الطاولـة، وفي الوقـت نفسـه وجـدت رجـلًا جالسًـا عـلى كـرسيٍّ، وبعـد أن ألقيـتَ نظـرةً عـلى الكتـاب والرجـل، خرجـت، ثـم عـدت مـرة أخـرى إلى المكتـب، ولكنـك وجـدت أن الكتـاب الـذي كان عـلى الطاولـة قـد انتقـل إلى الـدُّرج، وأن الرجـل الـذي كان جالسًـا عـلى الكـرسي قـد انتقـل إلى كـرسيٍّ آخـر.

فهنـا يمكنـك السـؤال عـن الكتـاب بـ (مـن نقـل الكتـاب مـن الطاولـة إلى الـدُّرج؟) وهـو سـؤالٌ منطقـي وواقعـي، في حـين لا يصـح منـك السـؤال بـ (مـن نقـل الرجـلَ مـن الكـرسيِّ إلى الكـرسيِّ الآخـر) لأنـه سـؤال سـخيف ومثـير للسـخرية؛ إذ مـن البدهـيِّ أن الرجـل لـه إرادة وشـعور، ويمتلـك طاقـةً تمكِّنـه مـن التحـرُّك والتنقُّـل مـن مـكانٍ إلى آخـر، بـل يسـتحيل أن يصـدر مثـل هـذا السـؤال مـن عاقـلٍ مـدرك، وأمـا الكتـاب فمجـردٌ مـن هـذه الأمـور -الإرادة والشـعور والطاقـة- وعقْـلُ العاقـل يـدرك تمامًـا أنـه لم ينتقـل الكتـاب أو يتحـرّك مـن تلقـاء نفسـه قطعًـا، فسـؤال السـائل عمّـن نقلـه وحرّكـه منطقـيٌّ وواقعـي، بخـلاف مـا لـو سـألت عـن الرجـل: مَـن الـذي حرَّكـه، ونقلـه مـن مكانـه إلى مـكانٍ آخـر؟

والسؤال (من خلق الله؟) يبيِّن لنا أنّ العقل البشريَّ قد بلغ بظنِّه من القدرة بحيث يكون إلهًا!! والحال أن هذا العقل وبكل ما أوتي من وسائل ومعارف حديثة لا يزال عاجزًا عن تفسير أشياء كثيرة تحدث من حوله في عالم المادّيات، وعلى رغم كل وسائله ومعارفه المستحدَثة، فلا يزال الكون مجهولًا لديه، ونجده بين الفينة والأخرى يطوِّر ويصحِّح معلوماته مع كل كشف جديد، فكيف بهذا العقل البدائيِّ العاجز عن كشف أسرار الموجودات من حوله أن يُخضِع خالقه وخالق جميع معارفه لأدواته البدائية هذه؟!

فالمنطق لا يقبل أن يكون الطفل الذي يحبو، ويستطلع الأشياء من حوله قادرًا على فهْم ما يفهمه الرجل البالغ المجرِّب!

وغير هذا وذاك فإن السؤال (من خلق الله؟) يستلزم التسلسل، أي أننا لو قلنا: بأنّ خالق الكون له مَن خلَقه، ومَن خلق خالق الكون له مَن خلَقه، ومَن خلَق خالقَ خالقِ الكون له من خلقه، وهكذا إلى ما لا نهاية، فهذا التسلسل يستلزم أنْ لا خالق للكون، وهو باطل قطعاً؛ لوجود الكون، ووجود الكون يستلزم عدم تسلسل الخالقِين إلى ما لا نهاية، فلا بدَّ -والحال هذه- أن نصل إلى نهايةٍ، والنهاية هي الله سبحانه.

وتقريب مسألة بطلان التسلسل تتضح بالمثال الآتي:

في النظام العسكري توجد مراتب في القيادة، فالجندي لا يُطلِق

رصاصةً إلا بعد أمر القائد له، فإذا افترضنا أنّ سلسلة المراتب في النظام العسكري لا نهاية لها، فالجنديّ -على هذا الفرض- حتى يطلق الرصاصة على العدو فلا بد له من تلقّي الأمر ممن هو أعلى منه رتبةً، ومن هو أعلى رتبةً من الجندي لا بد أنْ يتلقى الأمر ممن هو أعلى منه رتبة، وهكذا إلى ما لا نهاية.. فهل سيُطلق الجنديُّ رصاصته في صدر عدوِّه والحال هذه؟!

لم ولن يطلق هذا الجندي الرصاصة في هذه الحالة؛ لأنه لن يصل إلى أعلى رتبة من المراتب العسكرية التي تعطيه الإذن والأمر بإطلاق الرصاصة.

وبذلك يثبت أنه لا بد من انتهاء السلسلة إلى شخصٍ لا يوجد فوقه أحدٌ ليعطيه الإذن والأمر بالإطلاق، فتنطلق الرصاصة.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

التواصل بين الإمام المهديّ عليه السلام وسفرائه الأربعة

السائل: جعفر كركوكي

السؤال: كيف كان يصل لقاء الإمام المهدي المنتظر عليه السلام مع السفراء الأربعة؟! وكيف تعرَّف الشيعة إلى توقيعاته، وهم لم يكونوا قد اطلعوا عليها من قبل؟ وهل كانوا يثقون، ويسلمون بالأحاديث التي ينقلها السفراء إليهم، وأنها من الإمام؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

كان التواصل بين الإمام المهدي المنتظر عليه السلام وسفرائه الأربعة يحصل بطريقةٍ سرّية وإعجازية، والناس كانوا يثقون في ما ينقلونه إليهم عن الإمام المهدي عليه السلام، لما يرونه من دلائل الصدق في نقلهم، وعن مسألة التعرُّف إلى توقيع الإمام الحجة عليه السلام فقد كان يخرج إليهم بالخط الذي كان يخرج في حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وكانوا

يعرفونـه، فقـد روى الشـيخ الطـوسي قدس سره في كتـاب "الغيبـة" فيـما يخـصّ السفير الأوّل محمّد بن عثمان العمري ما نصه: «ويخرج إليهم التوقيعات بالخط الـذي كان يخرج في حياة الحسن عليه السلام إليهم بالمهمات في أمر الدين والدنيا، وفي ما يسألونه من المسائل بالأجوبة العجيبة»[١].

وعن مسألة قبول الشيعة لما ينقله السفراء الأربعة والتسليم به على أنه صادرٌ عن الإمام المهدي عليه السلام من دون مطالبتهم بدليل يثبت صدق مقالتهم، فقد رفض الشيعة في بادئ الأمر مقالتهم ودعواهم، وطالبوهم بالدلائل والمعاجز التي تثبت صدق مدَّعاهم؛ ولهذا عندما ادّعى البعض السفارة كالحلاج واجهه علماء الشيعة بالامتحان والاختبار حتّى يعرفوا صدقه من كذبه، فأرسل إليه أبو سهل النوبختي أحد علماء الشيعة في ذلك الوقت رسالة، جاء فيها: «أني أسألك أمرًا يسيرًا، يخفّ مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين، وهو أنّي رجلٌ أحبّ الجواري، وأصبو إليهن، ولي منهن عدّةٌ أتحظّاهن، والشيب يبعدني عنهن، ويبغّضني إليهن، وأحتاج أنْ أخضبه في كلّ جمعة، وأتحمل منه مشقة شديدة لأستر عنهنّ ذلك، وإلا انكشف أمري عندهنّ، فصار القرب بعدًا، والوصال هجرًا، وأريد أن تغنِيني عن الخضاب، وتكفيني مؤنته، وتجعل لحيتي سوداء، فإني طوع يديك، وصائرٌ إليك، وقائلٌ بقولك، وداعٍ إلى مذهبك، مع ما لي في ذلك من البصيرة، ولك من المعونة.

---

(١) الغيبة، ص٣٣٦.

فلـمّا سـمع ذلـك الحـلاج مـن قولـه وجوابـه علـم أنّـه قـد أخطـأ في مراسـلته، وجهـل في الخـروج إليـه بمذهبـه، وأمسـك عنـه، ولم يـرُدَّ إليـه جوابًـا، ولم يرسـل إليـه رسـولًا، وصـيّره أبـو سـهل رضي الله عنـه أحدوثـةً وضحكـة عنـد كل أحـد، وشـهر أمـره عنـد الصغـير والكبـير، وكان هـذا الفعـل سـببًا لكشـف أمـره وتنفـير الجماعـة عنـه»[١].

وجـاء عـن الشـيخ الطـبرسي قدس سره قولـه: «ولم تقبـل الشـيعة قولهـم [أي السـفراء] إلّا بعـد ظهـور آيـةٍ معجـزةٍ، تَظهـر عـلى يـدِ كلّ واحـدٍ منهـم مـن قِبَـل صاحـب الأمـر عليه السلام، تـدلّ عـلى صـدق مقالتهـم، وصحـة بابيَّتهـم»[٢].

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصـلّى الله، وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.

---

(١) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، ص٤٠٢.
(٢) الاحتجاج، ج٢، ص٢٩٧.

كتابُ مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي مخنف اختفى منذ قرون

السائل: الشيخ علي حيدر

السؤال: هل يمكن الاعتماد على كتاب مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي مخنف المتداول اليوم والقول بأنه صحيح، مع وجود من يطعن في وثاقة الرجل، وهل كونه الراوي الوحيد لواقعة كربلاء الأليمة أثر في عدم قبول الطعن فيه؟ جزاكم الله كل خير..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إنّ الشيعة الإمامية لا تعتمد في رواية واقعة الطف وما جرى فيها على رواية أبي مخنف فقط، أو مصدرين أو ثلاثة، بل توجد عندهم مصادر كثيرة، تعتمدها في رواية الواقعة، منها ما ورد عن أئمتهم المعصومين عليهم السلام، ومنها ما ورد عن أصحاب الأئمة عليهم السلام، ومنها ما ورد عن كبار محدّثيهم وعلمائهم، ومنها ما ورد في مصادر غيرهم من

كتب أهل السُّنة وتاريخهم، ومن أراد الاطلاع فعليه مراجعة كتاب "الصحيح من مقتل الحسين عليه السلام" للشيخ الريشهري، حتّى يقف على عشرات المصادر والروايات المعتبرة التي يعتمدها الشيعة في رواية واقعة الطف، غير رواية أبي مخنف أو غيره. هذا من جانب.

ومن جانبٍ آخر لا يُعتدُّ بالطعن الذي أورده بعض المؤرخين بحقّ أبي مخنف؛ لأنّه طعنٌ مذهبي، بسبب تشيُّع الرجل وولائه لأهل البيت عليهم السلام، ولا علاقة له بالرواية والخبر، وإلّا فالرجل ممدوح في كتب الإمامية، وقد عدّه الشيخ النجاشي شيخَ أصحاب الأخبار ووجههم بالكوفة، وكان يسكن إلى ما يرويه[1].

نعم، تنبغي الإشارة هنا بأنّ المقتل المتداول الآن والمنسوب لأبي مخنف ليس صحيحًا؛ لشهادة المحققين باختفاء مقتل أبي مخنف منذ قرون، ولم يبقَ منه سوى ما يذكره الطبري وابن الأثير عنه في تاريخيهما.

قال الشيخ محمد السماوي في تقديمه لكتاب مقتل الحسين للخوارزمي ما نصه: «فإن المقاتل القديمة المفضلة، كمقتل أبي مخنف، لم يبقَ منها شيء، إلا ما نقله الطبري والجزري وأمثالها في ضمن كتبهم، فأما أعيانها فلم يبقَ منها شيءٌ؛ لأنّ (مقتل أبي مخنف) لم يوجد منذ خمسة أو ستة قرون، وكذلك أمثاله»[2].

---

(١) رجال النجاشي، ص ٣٢٠.

(٢) مقتل الحسين، للخوارزمي، ج١، ص١٢.

وقد شهد بعض المؤرخين الشيعة، مثل الشيخ آغا بزرك الطهراني، بوجود بعض الموضوعات في الكتاب المتداول اليوم[١].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٢٢، ص٢٧.

حكم عليّ عليه السلام موافق للقرآن

المستشكل: رحاب السعدي

الإشكال: من الفتاوى التي أخطأ فيها عليّ رضي الله عنه، مقتبسين ذلك من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في ردّه على ابن المطهر؛ إذ قال - (المنتقى) (ص٣٦٣ - ٣٦٤) - : فقد قضى عليّ في الحامل المتوفى عنها زوجها أنّها تعتدّ أبعد الأجلين مع صحّة خبر سبيعة، ولكنّه لم يبلغه.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

دعوى أنَّ عليًّا عليه السلام خالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في حكم عدّة الحامل المتوفى عنها زوجها بأبعد الأجلين، وأنه خلاف الحديث الوارد عن أبي هريرة في صحيح البخاري في حقّ سبيعة الأسلمية أنَّ رسول الله زوّجها بعد قتل زوجها حين وضعت حمْلها، وعليه تكون عدّة الحامل المتوفى عنها زوجها هي وضع الحمل لا أبعد الأجلين حسب الحديث المذكور.

نقول: الحديث الوارد في صحيح البخاري مخالف للقرآن الكريم، فقد ورد في القرآن الكريم آيتان:

الآية الأولى تشير إلى عدّة المتوفى عنها زوجها، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾(١).

الآية الثانية تشير إلى عدّة المطلقة الحامل، وهي قوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾(٢).

وحديث البخاري موافق للآية الثانية فقط، ومخالف لصريح الآية الأولى، والحديث المخالف لصريح القرآن ينبغي ضربه عرض الجدار كائناً ما كان، والمناسب هنا هو العمل بالجمع بين الآيتين الكريمتين والأخذ بأبعد الأجلين، هذا ما تقتضيه الصناعة العلمية والفقهية.

فحكم عليّ عليه السلام في المسألة موافق للقرآن الكريم، كما هو حكم ابن عباس حبر الأمة أيضًا(٣).

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) البقرة: ٢٣٤.
(٢) الطلاق: ٤.
(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص، ج١، ص٥٠٢.

عليٌّ عليه السلام لم يكن السبب في انقسام الأمة

المستشكل: أبو داود

الإشكال: إنّ عليًّا كان أوّل من شهر سيفه على المسلمين، وترك قتال الكفار، وأوّل من كان سببًا في انقسام الأمة واختلافها.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

قولك: (إنّ عليًّا كان أوّل من شهر سيفه على المسلمين، وترك قتال الكفار).. هذا الكلام منك يعدّ طامة كبرى واقعًا، حيث لم تكن محاربة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام للناكثين والقاسطين والمارقين إلّا بأمرٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال ابن حجر في "تلخيص الحبير" قوله: «ثبت أنَّ أهل الجمل وصفين والنهروان بغاة، هو كما قال، ويدلّ عليه حديث عليّ: (أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين)، رواه النسائي في الخصائص والبزار والطبراني»(١).

وفي "مجمع الزوائد للهيثمي"، قال: «رواه البزار والطبراني في الأوسط، وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعيد، ووثّقه ابن حبان»(٢).

وامّا قولك: (بأنَّ عليًّا أوّل من كان سبباً في انقسام الأمة واختلافها).. فهو من المغالطات الواضحة، إذ لم يكن السبب في انقسام الأمة ورفع البركة عنها إلّا تنازع الصحابة ومنعهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كتابة كتابه الذي أراد أن يكتبه قبل موته بأيام في تلك الحادثة التي كان يبكي ابن عباس حين يتذكرها، ويقول: «إنَّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم»(٣).

قال ابن حجر في "فتح الباري" ج٨ ص ١٠١ في سياق كلامه عن رزية يوم الخميس: «قوله في الرواية الثانية: (فاختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم) ما يشعر بأن بعضهم كان مصممًا على

(١) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لابن حجر العسقلاني، ج٤، ص٨٤.
(٢) مجمع الزوائد للهيثمي، ج٧، ص٢٣٨.
(٣) صحيح البخاري، ج٥، ص١٣٨.

الامتثال والرد على من امتنع منهم، ولما وقع منهم الاختلاف ارتفعت البركة كما جرت العادة بذلك عند وقوع التنازع والتشاجر»[١].

وقال: «(فاختلف أهل البيت) أي من كان في البيت من الصحابة، ولم يُرِدْ أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وسلم»[٢].

فاختلاف الصحابة في حضرة النبيّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم هو سبب رفع البركة عن هذه الأمة وحصول المنازعات فيها، كما صرّح به ابن حجر، وليس أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، لكن التعصّب يُعمي، ويُصِمّ!

وقد تعترض، فتقول: إن مقتضى ما ذكرتموه أنَّ الصحابة منعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كتابة كتابه الذي أراد أنّه لم يبلِّغ للأمة كلّ ما يجب عليه تبليغه.. وهذا خللٌ في نبوَّته ورسالته؟!!

فنجيب: لقد أجمع شُرّاح الصحاح والسُّنن على أنّ الكتاب الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتابته لا يخلو من أحد أمرين: إمّا أن يكون في بيان جملةٍ من الشرائع، أو يكون للنصّ على الخليفة من بعده، وقد رجَّح أكثرهم الثاني، وذكروا جملةً من المؤيِّدات.

جاء في "عمدة القاري في شرح صحيح البخاري" ما نصُّه: «واختلف العلماء في الكتاب الذي همّ صلى الله عليه وسلم بكتابته، قال الخطّابي: يحتمل وجهين، أحدهما: أراد أن ينصّ على الإمامة بعده،

---

(١) فتح الباري، ج٨، ص١٠١.
(٢) فتح الباري، ج٨، ص١٠٣.

فترتفع تلك الفتن العظيمة كحرب الجمل وصفين، وقيل: أراد أن يبيّن كتابًا فيه مهمات الأحكام ليحصل الاتفاق على المنصوص عليه»[١].

ومن الواضح جدًّا أنَّ الاحتمال الثاني واهٍ جدًّا؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قد بيّن أحكام الشريعة خلال مدّة ٢٣ سنة من عمره الشريف وبأدّق التفاصيل، وهي مدّة عمر الرسالة كلها، فبأيّ وجهٍ يسرد لهم هذا الكمّ الهائل من البيانات والأحكام في مدّة قصيرة جدًّا، هي حالة احتضاره ومرضه الشديد الذي كان لا يقوى فيه حتّى على القيام للصلاة؟!

لا يمكن لعاقلٍ أن يقبل بالاحتمال الثاني مطلقًا، ويبقى الاحتمال الأوّل هو المقبول جدًّا.

لكنّه صلى الله عليه وآله وسلم لّما وجد المنع من الصحابة له وامتناعهم من تقديم الكتف والدواة ليكتب هذا الكتاب طردهم من غرفته، وقال لهم: «قوموا عنّي، ولا ينبغي عندي التنازع»[٢]، تعويلاً منه على ما ذكره من بيانات وافية في موضوع الخلافة في يوم الغدير وغيره.

يقول الغزالي في "سرّ العالمين" حول تمامية الحجّة على الصحابة في يوم الغدير: «لكن أسفرت الحجّة وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث، من خطبته في يوم غدير خم، باتّفاق الجميع، وهو يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه. فقال عمر: بخ بخ يا أبا الحسن، لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمنٍ ومؤمنة. فهذا تسليمٌ ورضا وتحكيم،

---

(١) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، ج٢، ص١٧١.
(٢) صحيح البخاري، ج١، ص٣٧.

ثمّ بعد هذا غلب الهوى لحب الرياسة، وحمل عمود الخلافة، وعقود البنود، وخفقان الهوى في قعقعة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار؛ سقاهم كأس الهوى، فعادوا إلى الخلاف الأوّل، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنًا قليلًا»[1].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) مجموعة رسائل الإمام الغزالي، كتاب سر العالمين، ص٤٨٣.

عليّ عليه السلام أعلم الخلق على الإطلاق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

المستشكل: عبد الله العاص

الإشكال: من أين لكم بأن عليًّا رضي الله عنه أعلم من الصحابة على الإطلاق؟ وبأيِّ شيء هو أعلم؟! وإن كنتم تستدلون بأقوال علمائنا فبعضهم لا يُعتدُّ بقوله، ولا يُؤخذ به.. كذبتم حتى صدّقتم كِذبتكم!! قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (اتفق علماء السُّنة على أن أعلم الناس بعد رسول الله (ص) أبو بكر ثم عمر، وقد ذكر غيرُ واحدٍ الإجماع على أنّ أبا بكر أعلم الصحابة كلهم).

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إن نظرةً في صفحات التاريخ كفيلةٌ بكشف عشرات المواقف التي تشي بكثرة رجوع الصحابة -لا سيما الخلفاء الثلاثة- إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رحيل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كلما واجهتهم معضلة، فكانوا يرجعون إليه عليه السلام فيما يوجَّه إليهم من مسائل تستعجم عليهم، بعضها يُعدّ من أبجديات الأحكام الشرعية، وأخرى من

المسائل التي يعجز عن فكّ مغاليقها المتبحِّرون منهم في العلم آنذاك، وصحاح أهل السنة حافلة بأخبار واضحة تنصُّ على جهل الخليفتين بكثيرٍ من الأحكام والوقائع الرئيسة التي لا ينبغي أن تُجهل من قبل خليفة المسلمين، ومن ذلك:

قال ابن حجر في "فتح الباري": «أخرج عبد بن حميد عن إبراهيم النخعي، قال: قرأ أبو بكر الصديق وفاكهة وأبًّا فقيل: ما الأب؟ فقيل: كذا وكذا، وقال أبو بكر: إنّ هذا لهو التكلُّف، أيّ أرض تقلني، أو أي سماء تظلّني، إذا قلت في كتاب الله بما لا أعلم، وهذا منقطع بين النخعي والصديق، وأخرج أيضًا من طريق إبراهيم التيمي أنّ أبا بكر سئل عن "الأبِّ" ما هو؟ فقال: أي سماء تظلني، فذكر مثله، وهو منقطع أيضًا، لكن أحدهما يقوّي الآخر»[١].

وروى عن ابن عباس قوله: «أُتي عمر بمجنونةٍ قد زنت، فاستشار فيها أناسًا، فأمر بها عمر أن تُرجم، فمرّ بها على علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ما شأن هذه؟ قالوا: مجنونةُ بني فلان زنت. فأمر بها عمر أن ترجم، فقال: ارجعوا بها، ثم أتاه، وقال: يا عمر، أما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة، عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبيِّ حتى يعقل؟ قال: بلى. قال: فما بال هذه تُرجم؟ قال: لا شيء، قال: فأرسلها. قال ابن عباس: فجعل عمر يكبِّر»[٢].

---

(١) فتح الباري، ج١٣، ص٢٧٢.

(٢) سنن أبي داود، ج٤، ص١٤٠، باب المجنون يسرق أو يصيب أحدًا، قال الألباني: صحيح، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «حديث صحيح»؛ المصدر نفسه، ج٦، ص٤٥٢.

ومن ذلك أيضًا: عندما أمر عمر برجم امرأة حاملٍ زنت، فقال له عليٌّ: وما سلطانك على ما في بطنها؟ وقد كان عمر يقول تكرارًا كلما كان يجيبه عليّ عليه السلام عما يسأله ليفرِّج عنه: «لولا علي لهلك عمر». وقوله: «لا أبقاني الله بعدك يا علي»(١).

وقوله: «لا أبقاني الله لمعضلةٍ ليس عليٌّ فيها».

فقد كان عليٌّ عليه السلام هو الباب الذي مَن أتاه أُوتي العلم؛ إذ هو باب مدينة علم الرسول، كما جاء في الصحيح المتفق عليه عند الحُفّاظ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»، أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرِّجاه»(٢).

وهذا الحديث رواه كثيرٌ من أعلام أهل السُّنّة(٣).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت تبيِّن لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»(٤).

---

(١) الصواعق المحرقة، ص١٠٧.
(٢) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٢٦.
(٣) يُنظر: تاريخ ابن كثير، ج٧، ص٣٥٩؛ جامع الأُصول، ج٩، ص٤٧٣؛ جمع الجوامع، ج١، ص٣٧٣؛ تاريخ بغداد، ج٢، ص٣٧٧ وج٤، ص٣٤٨، الرياض النضرة، ج٢، ص٢٥٥؛ فيض القدير، ج٣، ص٤٧؛ تاريخ الخلفاء، ص١٧٠؛ المعجم الكبير، ج١١، ص٦٥؛ أُسد الغابة، ج٤، ص٢٢؛ تذكرة الحفّاظ، ج٤، ص٢٨؛ مجمع الزوائد، ج٩، ص١١٤؛ عمدة القاري في شرح البخاري، ج٧، ص٦٣١. ومن شاء التفصيل فليرجع إلى كتاب (نفحات الأزهار) الأجزاء ١٠-١٢.
(٤) المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٢٦ وقال: صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرِّجاه. وذكره صاحب حلية الأولياء، ج١، ص٦٤؛ وكنز العمال، ج١١، ح٣٢٩٨٣.

وعن أنس، قال: «قيل يا رسول الله عمّن نأخذ العلم بعدك؟ قال: عن عليّ»[(١)].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ وعاء علمي، ووصيّي، وبابي الذي أُوتى منه»[(٢)].

وفي صحيح البخاري، قال عمر بن الخطاب: «أقرأنا أُبيّ، وأقضانا عليّ»[(٣)].

ومن الواضح جدًّا أن الأقضى هو الأعلم بقوانين الشريعة وأحكامها؛ لأن القضاء يستلزم العلم، ولا ينفكّ عنه.

وإليك شهادة "الإيجي" – وهو من كبار علماء أهل السُّنّة – بأعلميّة الإمام عليّ عليه السلام على الصحابة، فذكر في كلامه من الأدلة والشواهد ما يكفي، ويزيد لإثبات مدّعاه، فقال في كتابه "المواقف" ما نصّه: «وعليّ أعلم الصحابة؛ لأنّه كان في غاية الذكاء والحرص على التعلّم، ومحمّد صلى الله عليه وسلم أعلم الناس وأحرصهم على إرشاده، وكان في صغره في حجره، وفي كبره ختنًا له يدخل عليه كلّ وقت، وذلك يقتضي بلوغه في العلم كلّ مبلغٍ، وأمّا أبو بكر فاتصل بخدمته في كبره، وكان يصل إليه في اليوم مرّة أو مرّتين، ولقوله صلى الله عليه وسلم (أقضاكم عليّ)، والقضاء يحتاج إلى جميع العلوم، فلا يعارضه نحو (أفرضكم

(١) قرة العينين في تفضيل الشيخين، لقطب الدين أحمد شاه ولي الله، ص ٢٣٤

(٢) ينابيع المودة، ج١، ص١٩٥؛ كفاية الطالب، ص١٤٥؛ مجمع الزوائد، ج٩، ص١١١: وقال: رواه الطبراني، كنز العمال، ج٦، ص١٥٤، وقال فيه: يا أم سلمة... إلى أن قال: أخرجه العقيلي عن ابن عباس، كنوز الحقائق، ص١٦١، نقلًا عن الطبراني باختصار.

(٣) صحيح البخاري، ج٤، ص١٦٢٩.

زيد وأقرأكم أُبيّ). ولقوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾، وأكثر المفسرين على أنّه عليٌّ؛ ولأنّه نهى عمر عن رجم من وَلدت لستة أشهر وعن رجم الحاملة، فقال عمر: لولا علي لهلك عمر، ولقول عليّ: (لو كسرت لي الوسادة، ثمَّ جلست عليها لقضيتُ بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم، والله ما من آيةٍ نزلت في برٍّ أو بحر أو سهل أو جبل أو سماء أو أرض أو ليل أو نهار إلّا وأنا أعلم في مَن نزلت وفي أيّ شيء نزلت). ولأنَّ عليًّا ذكر في خطبته من أسرار التوحيد والعدل والنبوة والقضاء والقدر ما لم يقع مثله في كلام الصحابة؛ ولأنَّ جميع الفرق ينتسبون إليه في الأصول والفروع. وكذا المتصوفة في علم تصفية الباطن. وابن عباس رئيس المفسرين تلميذه. وكان في الفقه والفصاحة في الدرجة القصوى. وعلم النحو إنّما ظهر منه، وهو الذي أمر أبا الأسود الدؤلي بتدوينه. وكذا علم الشجاعة وممارسة الأسلحة، وكذا علم الفتوة والأخلاق»[1].

والحديث: «وأقضَاهُم عليٌّ»، صحَّحه الألباني في "صحيح ابن ماجة" ج٩، ص ٣٤، رقم: ١٥١، وفي "صحيح الجامع الصغير" ج١، ص٢١١، رقم: ٨٦٨، وفي "سلسلة الأحاديث الصحيحة" رقم: ١٢٢٤.

وقال المناوي الشافعي في "فيض القدير": «(وأقضاهم عليّ) أي أعرفهم بالقضاء بأحكام الشرع. قال السمهودي: ومعلومٌ أنّ العلم هو

---

(١) المواقف، ج٣، ص٦٢٧.

مادّة القضاء. قال الزمخشري: سافر رجلٌ مع صحبٍ له، فلم يرجع حين رجعوا، فاتهمهم أهله، فرفعوهم إلى شريح، فسألهم البيّنة على قتله، فارتفعوا إلى عليّ فأخبروه بقول شريح، فقال:

أوردها سعدُ وسعدٌ مشتمل ❁ ما هكذا يا سعدُ تورَد الإبل

ثمّ قال: إنّ أصل السقي التشريع، ثمّ فرّق بينهم، وسألهم. فاختلفوا ثمّ أقرّوا بقتله، فقتلهم به: وأخباره في هذا الباب مع عمر وغيره لا تكاد تحصى. قالوا: وكما أنّه أقضى الصحب في العلم الظاهر، فهو أفقههم بالعلم الباطن: قال الحكيم الترمذي في قول المصطفى صلى الله عليه وسلم لعلي: البس الحلة التي خبأتها لك: هي عندنا حلة التوحيد، فإنَّ الغالب على عليّ التقدّم في علم التوحيد، وبه كان يبرز على عامّة أصحاب رسول الله صلى الله عليه سلم..»[١].

وجاء في "المقاصد الحسنة" للسخاوي، تحقيق الحافظ عبد الله الصدّيق الغماري في بيان حديث (أقضاكم عليّ): «قضاء عليّ وعلمه وشجاعته من المتواترات، فليس من الصحابة من يفوقه في ذلك»[٢].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

(١) فيض القدير، ج١، ص٥٨٨.
(٢) المقاصد الحسنة، رقم: ١٣٩.

عليٌّ عليه السلام قاتَل الناكثين والمارقين والقاسطين

المستشكل: ناصر الدين

الإشكال: لماذا لم يلتزم عليّ بوصية الرسول للنهاية، ولم يحافظ على بيضة الإسلام مع معاوية؟؟؟ هذا إن كان هناك وصيه أصلًا.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إن وصيّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام بالسِّلم من بعده ثابتةٌ على الصحيح المرويّ في مسند أحمد بن حنبل عن إياس بن عمرو الأسلمي عن عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه سيكون بعدي اختلافٌ أو أمر، فإن استطعت أن تكون السِّلم فافعل»، قال محقق المسند أحمد محمد شاكر: «إسناده صحيح»[1]، وقال الهيثمي في المجمع: «رواه عبد الله، ورجاله ثقات»[2].

(١) مسند أحمد، ج١، ص٤٦٩.
(٢) مجمع الزوائد، ج٧، ص٢٣٧.

بيد أن السِّلم في الوصية ليس على إطلاقه، إنما هو مقيَّدٌ بحديثٍ له آخر، ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب (الفتن) باب: فيما كان بينهم يوم صفين، قال: «عن عليّ، قال: عهِد إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الناكثين، والقاسطين والمارقين. وفى رواية: أُمرت بقتال الناكثين فذكره.. رواه البزار، والطبراني في الأوسط، وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعيد، ووثّقه ابن حبان»[(١)].

وقد أقرّ الشوكاني في "الفتح الرباني" بثبوت حديث أمر النبي ﷺ لعليّ عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، ووجوب الإيمان بأنه عليه السلام وصي النبي ﷺ، فقال: «والواجب علينا الإيمان بأنه - عليه السلام - وصي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -، ولا يلزمنا التعرُّض للتفاصيل الموصى بها، فقد ثبت أنه أميره بقتال الناكثين، والقاسطين والمارقين، وعين له علاماتهم»[(٢)].

قال ابن حجر العسقلاني في "تلخيص التحبير": «حديث علي: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، رواه النسائي في "الخصائص"، والبزار والطبراني، والناكثين: أهل الجمل؛ لأنهم نكثوا بيعته، والقاسطين: أهل الشام؛ لأنهم جاروا عن الحق في عدم مبايعته، والمارقين: أهل النهروان؛ لثبوت الخبر الصحيح فيهم؛ أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وثبت في أهل الشام حديث

(١) مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٣٨.
(٢) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، ج٢، ص٩٧٦.

عمار: "تقتله الفئة الباغية"، وقد تقدم وغير ذلك من الأحاديث»[١].

وتقدير الكلام بعد الجمع بين حديث الوصية بالسلم وحديث الأمر بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين يكون كالآتي:

«سيكون بعدي اختلاف أو أمر، فإن استطعتَ أن تكون السِّلم فافعل، إلا الناكثين والمارقين والقاسطين فقاتلهم».

فالناكثون طلحة والزبير وأصحابهما، والقاسطون معاوية وأصحابه، والمارقون عبد الله بن وهب وأصحابه، فقد جاء في موسوعة الفقه الإسلامي: «وأما واقعة الجمل، فإن عليًّا رضي الله عنه قاتل ثلاث فرقٍ من المسلمين على ما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: إنك تقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين فالناكثون هم: الذين نكثوا عهد عليٍّ، ونقضوا بيعته، وخرجوا إلى البصرة يتقدمهم طلحة والزبير، وقاتلوا عليًّا رضي الله عنه بعسكرٍ، تتقدمهم أم المؤمنين السيدة عائشة في هودج على جملٍ، أخذ بخطامه كعب بن سور، فسمي ذلك الحرب حرب الجمل، وكان الحامل عليه المطالبة بدم عثمان.

والمارقون هم: الذين نزعوا اليد من طاعة عليٍّ رضي الله عنه بعد ما بايعوه، وتابعوه في حرب أهل الشام زعمًا منهم أنه كفر حيث رضي بالتحكيم، وهم الخوارج، وذلك أنه لمّا استمرت محاربة عليٍّ رضي الله عنه ومعاوية بصفين، وطالت اتفق الفريقان على تحكيم أبي موسى

---

(١) التلخيص الحبير، ج٤، ص١٢٧.

الأشعري وعمرو بن العاص في أمر الخلافة وعلى الطرفين الرضا بما يريانه.. فاجتمع الخوارج على عبد الله بن وهب الراسبي، وساروا إلى النهر، وسار إليهم عليّ بعسكره، وكسرهم، وقتل الكثير منهم.. وذلك حرب الخوارج وحرب النهروان.

والقاسطون هم: معاوية وأتباعه الذين اجتمعوا عليه، وعدلوا عن طريق الحق الذي هو بيعة عليّ والدخول في طاعته ذهابًا إلى أنه مالأ على قتل عثمان، حيث ترك معاونته، وجعل قتلته خواصه وبطانته. فاجتمع الفريقان بصفين، وهى قريةٌ خرابٌ من قرى الروم على خلوة من الفرات، ودامت الحرب بينهم شهورًا، فسميت حرب صفين.. والذي اتفق عليه أهل الحق أن المصيب في جميع ذلك عليٌّ لما ثبت من إمامته ببيعة أهل الحل والعقد.. وتكاثر من الأخبار في كون الحق معه.. وما وقع عليه الاتفاق حتى من الأعداء على أنه أفضل أهل زمانه، وأنه لا أحق بالإمامة منه»[(١)].

فعليّ عليه السلام التزم السِّلم عملًا بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وامتثل الأمر بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) موسوعة الفقه الإسلامي – الأوقاف المصرية، ج٢٥، ص١٦٠.

التشابهُ بين معاويةَ وفرعون في حديث عائشة

المستشكل: إيهاب محمود

الإشـكال: سـادس الخلفاء معاويـة بـن أبي سـفيان، وكان صاحب فضائل، قـد أهملهـا، وأخفاهـا كثـير ممـن كتـب عنـه، وجانَـب فيـه الموضوعيـة والإنصـاف، فضـلًا عمـن غـلا في تجريمـه، ورمـاه بالفسـق والفجـور، فالروافـض يخشـون انكشـاف فضائلـه وبيانهـا للمسـلمين، وهـذا مـا أكل أكبادهـم.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمـد لله وكفـى، وسـلام عـلى عبـاده الذيـن اصطفـى، محمـد وآلـه المطهريـن..

نذكر في الجواب عدة نقاط:

الأولى: عـن قولـك: (سـادس الخلفاء معاويـة)، فإنّ من المعلـوم الثابت عنـد جميع المسـلمين أن معاويـة ليـس مـن الخلفـاء ولا حتـى مـن الصحابـة،

قال ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" مبينًا أن الخلافة منحصرةٌ في أربعةٍ: «الخلفاء الراشدون المهديّون: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وهم أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم»[(١)].

وأما سفيان الثوري فقد أضاف إلى الأربعة عمر بن عبد العزيز، ووصف من سواهم بالمنتزين، فقال: «لأئمة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز، وما سوى ذلك فهم منتزون»[(٢)].

وقد شبّهت عائشة في حديثها معاوية بفرعون، ونفَتْ عنه الخلافة والصحبة من رأس، ذلك لمّا سألها الأسود بن يزيد بقوله: «قلت لعائشة: ألا تعجبين لرجلٍ من الطلقاء، ينازع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخلافة؟ فقالت: وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتيه البر والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة، وكذلك غيره من الكفار»[(٣)].

قال العلوي في "النصائح الكافية": إن كلام عائشة فيه إشارةٌ واضحة إلى أمور ثلاثة:

١ - بدلالة مفهوم الصفة المخالف أن معاوية ليس من أصحاب

(١) جامع بيان العلم وفضله، ج٢، ص١١٦٨.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) تاريخ ابن كثير، ج٨، ص١٣١، قال: أخرجه أبو داود الطيالسي وابن عساكر؛ الدر المنثور، ج٦، ص١٩، قال: أخرجه ابن أبي حاتم.

محمد صلى الله عليه وآله، وقد نقل العلوي النص من الدر المنثور هكذا: (رجلٌ من الطلقاء ينازع أصحاب محمد في الخلافة).

٢ - الإشارة بالمثال إلى فجور معاوية.

٣ - تشبيهها معاوية بفرعون الذي بيّن الله حاله بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ* يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ * وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾[(١)(٢)].

الثانية: وأما عن قولك (كان صاحب فضائل...)، فانظر إلى ما يقوله أكابر علماء أهل السُّنة والسلفية، فابن قيم الجوزية في "المنار المنيف" يقول: «ومن ذلك ما وضعه بعض جهلة أهل السُّنة في فضائل معاوية بن أبي سفيان، قال ابن راهويه: لا يصح في فضائل معاوية بن أبي سفيان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيء، قلت: ومراده ومراد من قال ذلك من أهل الحديث أنه لم يصحّ حديثٌ في مناقبه بخصوصه»[(٣)].

وها هو ابن تيمية يقول بوضوح تامٍّ أنّ كلّ ما ورد في فضائل معاوية هو من الموضوعات، فقال ما نصه: «طائفةٌ وضعوا لمعاوية فضائل، ورووا أحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذلك، كلُّها كذبٌ»[(٤)].

---

(١) هود:٩٧-٩٩.

(٢) انظر: النصائح الكافية، ص٣١.

(٣) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ج١، ص١١٦.

(٤) منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٤٠٠.

وهـا هـو الحاكـم صاحـب المستدرك يقـول ثلاثًـا: لا يجيء مـن قلبي ذكـر فضائـل لمعاويـة، يقـول الدكتـور موفـق عبـد القـادر في مقدمتـه لـ (سـؤالات السـجزي) عـن الحاكـم صاحـب المسـتدرك: «مشـكلته مـع معاويـة، ففـي كتـاب معرفـة الصحابـة - الـذي يُعـد ربـع المسـتدرك - ترجـم الحاكـم لأكثـر مـن عـشر وثلاثمائـة رجـلًا مـن الصحابـة، ولم يُضمّـن كتابـه "ذكـر مناقـب معاويـة" أو عـلى الأقـل "ذكـر معاويـة" ليُعـرِّف بـه كـما فعـل مـع كثـيرٍ مـن الصحابـة الغـير مشـهورين»[1].

وجـاء في "تاريـخ بغـداد" عـن أبـى عبـد الرحمـن السـلمي، أنـه قـال: «دخلـت عـلى الحاكـم أبي عبـد الله، وهـو في داره، لا يمكنـه الخـروج إلى المسـجد مـن جهـة أصحـاب أبـى عبـد الله بـن كـرام، وذلـك أنهـم كـسروا منـبره، ومنعـوه مـن الخـروج. فقلـت لـه: لـو خرجـت، وأمليـت في فضائـل هـذا الرجـل، يعنـى معاويـة حديثًـا لاسـترحت مـن هـذه المحنـة؟ فقـال: لا يجـيء مـن قلبـي، لا يجـيء مـن قلبـي لا يجـيء مـن قلبـي»[2].

وقـد ذكـر ابـن تيميـة محنـة الحاكـم النيسـابوري صاحـب المسـتدرك، في منهاجـه، فقـال: «وقـد طُلِـبَ منـه أن يـروي حديثًـا في فضـل معاويـة، فقـال: مـا يجـيء مـن قلبـي، مـا يجـيء مـن قلبـي، وقـد ضربـوه عـلى ذلـك، فلـم يفعـل»[3].

(١) سؤالات السجزي، ص١٨.
(٢) تاريخ بغداد، ج٢٢، ص١٤٥.
(٣) منهاج السنة، ج٧، ص٣٧٣.

هذا، وقد كان التيار الأموي يسعى جاهدًا لخلق فضائل لمعاوية بن أبي سفيان بشتى الوسائل ولو بلغت حد القتل وإراقة الدماء، يقول الشعبي لابنه: «ما بنى الدينُ شيئًا إلّا وهدمته الدنيا، وما بنت الدنيا شيئًا إلّا وهدمه الدين، انظر إلى عليّ وأولاده، فإنّ بني أُميّة لم يزالوا يجتهدون في كتم فضائلهم وإخفاء أمرهم، وكأنّما يأخذون بضبعهم إلى السماء. وما زالوا يبذلون مساعيهم في نشر فضائل أسلافهم، وكأنّما ينشرون منهم جيفة»[1].

وقد شاعت محنة الإمام النسائي والأسباب التي أدت إلى مقتله، حتى أصبحت كالنار على علم، وذلك لمّا قال لمن سأله عن فضائل معاوية: (ما أعرف له فضيلة)، فقد ذكروا أن النسائي خرج من مصر سنة اثنتين وثلاثمائة إلى دمشق، فسأله أصحاب معاوية من أهل الشام تفضيله على عليّ عليه السلام فقال: «أ لا يرضى معاوية رأسًا برأسٍ حتى يفضل عليًّا». وسألوه أيضًا عما يرويه لمعاوية من فضائل، فقال: ما أعرف له فضيلة إلا "لا أشبع الله بطنه" فما زال به أهل الشام يضربونه في خصييه بأرجلهم حتى أخرجوه من المسجد، ثم حمل إلى الرملة، فمات بها.

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء: «روى أبو عبد الله بن مندة، عن حمزة العقبي المصري وغيره، أن النسائي خرج من مصر في آخر عمره إلى دمشق، فسئل بها عن معاوية، وما جاء في فضائله.

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، ج٢، ص٤١٤.

فقال: لا يرضى رأسًا برأس حتى يفضل؟ قال: فما زالوا يدفعون في حضنيه حتى أخرج من المسجد، ثم حمل إلى مكة، فتوفي بها. كذا قال، وصوابه: إلى الرملة.

قال الدارقطني: خرج حاجًّا، فامتحن بدمشق، وأدرك الشهادة، فقال: احملوني إلى مكة. فحمل وتوفي بها، وهو مدفونٌ بين الصّفا والمروة، وكانت وفاته في شعبان سنة ثلاث وثلاث مائة. قال: وكان أفقه مشايخ مصر في عصره، وأعلمهم بالحديث والرجال»[١].

فهذا الإشكال في الواقع إنما هو تلميعٌ لصورة معاوية ومحاولةٌ يائسة وبائسة للعمل على إخفاء بوائقه وجرائمه بمختلف الأساليب التي لا تُسمن، ولا تُغني من جوع.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٨٢.

تواترُ الولادة الميمونة للإمام المهديِّ المنتظَر عليه السلام

المستشكل: عبد الحميد الغزالي

الإشكال: السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام هي الراوية الوحيدة لولادة الإمام المهدي عليه السلام، مع أنه لم يرِدْ فيها توثيقٌ في الكتب الرجالية!! فالروايةُ ضعيفة..هكذا يقال، فكيف يُحلُّ هذا الإشكال؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذا كلامٌ فاسد من عدة وجوهٍ:

الوجه الأول: أنّ السيدة حكيمة ذُكرتْ بمدحٍ كبير وإطراء لا مثيل له من العلامة المجلسيّ في "بحار الأنوار" فقد قالٍ في حقّها ما نصُّه: «النجيبة الكريمة العالمة الفاضلة التقية الرضية حكيمة بنت أبي جعفر الجواد عليهما السلام»[1].

(١) بحار الأنوار، ج٩٩، ص٧٩.

الوجه الثاني: لم تكن روايةُ السيدة حكيمة الرواية الوحيدة في إثبات ولادة الإمام المهديِّ المنتظر عليه السلام، بل هناك طرقٌ أخرى:

١ - منها إخبار والده عليه السلام بولادته:

روى الشيخ الكليني في "الكافي": «محمّد بن يحيى، عن أحمد بن إسحاق، عن أبي هاشم الجعفري، قال: قلت لأبي محمّد عليه السلام: جلالتُك تمنعني من مسألتك، فتأذن لي أنْ أسألك؟ فقال: سل، قلت: يا سيدي هل لك ولدٌ؟ فقال: نعم، فقلت: فإن حدث بك، فأين أسأل عنه؟ فقال: بالمدينة»[١]، قال العلامة المجلسي في "مرآة العقول": «الحديث صحيح»[٢].

وروى الشيخ الصدوق في "كمال النعمة": «حدّثنا جعفر بن محمّد بن مسرور رضي الله عنه، قال: حدثنا الحسين بن محمّد بن عامر، عن معلّى بن محمّد البصري، قال: خرج عن أبي محمّد عليه السلام حين قتل الزبيري: هذا جزاء من افترى على الله تبارك وتعالى في أوليائه، زعم أنّه يقتلني، وليس لي عقب، فكيف رأى قدرة الله عزّ وجل وولد له ولد وسماه محمد سنة ست وخمسين ومائتين»[٣].

رجال هذا الحديث كلّهم ثقات: جعفر بن محمّد بن مسرور هو

(١) الكافي، ج١، ص٣٢٨.
(٢) مرآة العقول، ج٤، ص٢.
(٣) كمال الدين وتمام النعمة، ص٤٣٠.

"ابن قولويه" الثقة[١]، والحسين بن محمّد بن عامر ثقة[٢]، ومعلى بن محمّد البصري ثقة[٣]. إذن، فالرواية معتبرة.

٢ – ومنها عرض أبيه له أمام أصحابه:

روى الشيخ الصدوق في "كمال الدين" بسندٍ صحيحٍ عن: معاوية بن حكيم ومحمّد بن أيوب بن نوح ومحمّد عثمان العمري، قالوا: «عرض علينا أبو محمّد الحسن بن علي، ونحن في منزله، وكنا أربعين رجلًا، فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه، ولا تتفرّقوا من بعدي في أديانكم، فتهلكوا، أما إنّكم لا ترونه بعد يومكم هذا. قالوا: فخرجنا من عنده، فما مضت إلّا أيامٌ قلائل حتّى مضى أبو محمّد عليه السلام»[٤].

وهذه الرواية صحيحة[٥].

٣ – ومنها إخبار من رآه:

روى الكليني في "الكافي": «محمّد بن عبد الله ومحمّد بن يحيى جميعًا، عن عبد الله بن جعفر الحميري، قال: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو رحمه الله عند أحمد بن إسحاق، فغمزني أحمد بن إسحاق أن أسأله عن

(١) يُنظر: المنهج الرجالي للسيد الجلالي، ص٢١١.
(٢) انظر: المفيد من معجم رجال الحديث، ص١٧٨.
(٣) المصدر السابق، ص٦١٣.
(٤) كمال الدين وتمام النعمة، ص٤٣٥.
(٥) يُنظر: الرسالة المختصرة في النصوص الصحيحة على إمامة الأئمة الاثني عشر، للمرجع الديني الشيخ جواد التبريزي، ص٢٥.

الخلَف، فقلت له: يا أبا عمرو، إني أريد أن أسألك عن شيءٍ، وما أنا بشاكٍّ فيما أريد أن أسألك عنه، فإنَّ اعتقادي وديني أن الأرض لا تخلو من حجّةٍ إلا إذا كان قبل يوم القيامة بأربعين يومًا - إلى أن قال - فقلت له: أنت رأيت الخلَف من بعد أبي محمّد عليه السلام؟ فقال: إي والله، ورقبته مثل ذا - وأومأ بيده - فقلت له: فبقيت واحدة، فقال لي: هات، قلت: فالاسم؟ قال: محرَّم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي، فليس لي أنْ أحلّل، ولا أحرّم، ولكنْ عنه عليه السلام»[(١)].

قال العلامة المجلسي في "مرآة العقول": «الحديث صحيح»[(٢)].

وروى الكليني - أيضًا - في "الكافي" : «علي بن محمّد، عن محمّد بن علي بن إبراهيم، عن أبي عبد الله بن صالح أنه رآه عند الحجر الأسود، والناس يتجاذبون عليه، وهو يقول: ما بهذا أمروا»[(٣)]، قال العلامة المجلسي: «صحيح»[(٤)].

الوجه الثالث: على فرض ضعف الرواية التي تروي فيها السيدةُ حكيمة ولادتَه عليه السلام، فإنّ تواتر الولادة ثابت، ومعه لا يُتوقف عند وثاقة الرواة وعدمهم، وهذا أمر متسالَمٌ عليه عند علماء الحديث من الفريقين.

---

(١) الكافي، ج١، ص٣٣٠.
(٢) مرآة العقول، ج٤، ص٥.
(٣) الكافي، ج١، ص٣٣١.
(٤) مرآة العقول، ج٤، ص١٠.

فلو كانت الرواية التي تروي فيها السيدة حكيمة ولادتَه عليه السلام ضعيفةَ السند فهي مع وجود التواتر بالولادة لا يُلتفت إلى ضعفها وعدمه؛ لأنّ المدار في ثبوت الحديث المتواتر هو على مجموع طرقه لا على وثاقة الرواة وعدمهم.

وممّن أثبت تواتر الولادة الميمونة من علماء الإمامية:

العلامة الحلّي في "منهاج الكرامة" وهذا نصُّ كلامه: «وقد تواترت به الشيعة في البلاد المتباعدة خلَفًا عن سلَفٍ من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال للحسين عليه السلام: هذا إمامٌ ابن إمامٍ أخو إمامٍ أبو أئمةٍ تسعةٍ، تاسعهم قائمهم، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا»[١].

وجاء في كتاب "الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف" لابن طاووس قوله: «ونَقل إلينا سلفنا نقلًا متواترًا أنّ المهديَّ عليه السلام المشار إليه ولد ولادةً مستورة»[٢].

وفي كتاب "الأربعون" للشيخ الماحوزي: «إجماع الشيعة رضوان الله عليهم، وتواتر أخبارهم بولادته صلوات الله عليه وعلى آبائه، على نحو ولادة إبراهيم وموسى عليهما السلام، وغيرهما مما اقتضت المصلحة أنْ تستر ولادته، وقد استفاضت الأخبار عنهم باسمه ونسبه»[٣].

---

(١) منهاج الكرامة، ص١٧٧.
(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ص١٨٣.
(٣) الأربعون، ص٢١١.

وعن الشيخ المظفر في كتاب "عقائد الإمامية" قوله: «هذا المصلح المهديُّ هو شخصٌ معيَّن معروف، ولد سنة ٢٥٦ هجرية، ولا يزال حيًّا، هو ابن الحسن العسكري، واسمه محمّد. وذلك بما ثبت عن النبي وآل البيت من الوعد به وما تواتر عندنا من ولادته واحتجابه»(١).

الوجه الرابع: فقد تسالم فقهاء المسلمين كلّهم بأنّ ولادة شخصٍ ما وانتسابه لأبيه تثبت بإقرار أبيه به، فضلًا عن البيّنة، وهي شهادة شاهدين عادلين بنسبة هذا الولد لأبيه، فضلًا عن دعوى العلم بالولادة بالتواتر ونحوه، فضلًا عن شهادة علماء الأمّة بالولادة، وهذه كلّها متوفرة في موضوع ولادة الإمام المهدي عليه السلام أرواحنا لمقدمه الفداء.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) عقائد الإمامية، ص٧٨ و٧٩.

حديث الاقتداء بالشيخين أم حديث التمسك بالثقلين

المستشكل: رضوان الموصلي

الإشكال: لقد صحّ عن النبي قوله: اقتدوا باللذينَ من بعْدِي أبي بكرٍ وعمرَ، ولم يقل: اقتدوا بعلي بن أبي طالبٍ، فما لكم كيف تحكمون؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

فعن قولك: (لقد صحّ عن النبي قوله: اقتدوا باللذينَ من بعْدِي أبي بكرٍ وعمرَ)، نقول:

هذه الرواية لم تثبت، ولم تصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجميع طرقها ضعيفة، وقد طعن فيها جمعٌ من علماء أهل السُّنة، وحكموا بعدم صحتها وبطلانها.

فقد أعلّها أبو حاتم الرازي، وحكم بعدم صحّتها كلٌّ من البزار وابن حزم، قال المناوي في فيض القدير: «وأعلّه أبو حاتم، وقال البزار كابن حزم: لا يصح؛ لأن عبد الملك لم يسمعه من ربعي، وربعي لم يسمعه من حذيفة».

وممن طعن في هذه الرواية (ابن حزم الأندلسي) في كتابه "الإحكام"، فقال: «وأما الرواية (اقتدوا باللذين من بعدي) فحديثٌ لا يصح؛ لأنه مرويٌّ عن مولى لربعي مجهول، وعن المفضل الضبّي، وليس بحجة»[1].

وقال أيضًا في كتابه "الفِصَل": «ولو أننا نستجيز التدليس والأمر الذي لو ظفر به خصومنا طاروا به فرحًا، أو أبلسوا أسفًا لاحتججنا بما روي اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، ولكنه لم يصح، ويعيذنا الله من الاحتجاج بما لا يصح»[2].

وقال الهروي الشافعي في "الدر النضيد": «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر. باطل»[3].

وقال العلامة "حسان بن عبد المنان" بعد أن أشار إلى بعض طرق رواية حذيفة: «قلت: فهذه الروايات فيها اضطرابٌ شديد، مدارها

(١) الإحكام، ج٦، ص٢٤٢.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٤، ص٨٨.
(٣) الدر النضيد، ص٩٧.

على هلال مولى ربعي بن حراش، وهو مجهول، أما من أسقطه بين عبد الملك وربعي فخطأ»[١].

وقال أيضًا: «وأما رواية عمرو بن هرم فمدارها على سالم، أبو العلاء المرادي، وهو ضعيف، وقد لا يكون عمرو بن هرم سمعه من ربعي، فإنه لا رواية له، يصرّح عنه بالسماع»[٢].

وأما رواية أبي الدرداء فقد أخرجها الهيثمي في مجمع الزوائد عن الطبراني، قال: «وعن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر؛ فإنهما حبل الله الممدود، ومن تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها»، ثم قال الهيثمي: «رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفهم»[٣].

وقال الغزالي في سياق رده على من ادّعى حجّيّة قول الصحابيّ، بعد أن أورد الآراء فيها: «وقومٌ إلى أنّ الحجة في قول أبي بكر وعمر خاصة لقوله صلى الله عليه وسلم: (اقتدوا باللذين من بعدي) وقومٌ إلى أن الحجة في قول الخلفاء الراشدين إذا اتفقوا، والكل باطل عندنا، فإنّ من يجوز عليه الغلط والسهو، ولم تثبت عصمته عنه، فلا حجة في قوله، فكيف يحتج بقولهم مع جواز الخطأ؟ وكيف تدّعى عصمتهم من غير حجة متواترة؟ وكيف يتصور عصمة قوم، يجوز عليهم الاختلاف؟ وكيف يختلف المعصومان؟ كيف وقد اتفقت الصحابة

(١) حوار مع الشيخ الألباني، ص١٥٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣) مجمع الزوائد، ج٩، ص٥٣.

على جواز مخالفة الصحابة؟ فلم ينكر أبو بكر وعمر على من خالفهما بالاجتهاد، بل أوجبوا في مسائل الاجتهاد على كل مجتهد أن يتبع اجتهاد نفسه، فانتفاء الدليل على العصمة، ووقوع الاختلاف بينهم وتصريحهم بجواز مخالفتهم».. إلخ[١].

ويقول الدكتور ديب البغا، وهو بصدد بيان أدلّة النافين لحجّيّة مذهب الصحابيّ: «...أجمعت الصحابة على جواز مخالفة كلّ واحدٍ من آحاد الصحابة المجتهدين للآخر، فلم ينكر أبو بكر وعمر على مخالفيهما بالاجتهاد، بل أوجبوا على كلّ مجتهد في مسائل الاجتهاد أن يتّبع اجتهاد نفسه، ولو كان مذهب الصحابيّ حجّة لما كان كذلك، ولكان يجب على كلّ واحد منهم اتّباع الآخر، وهو محال»[٢].

فلو كان صحّ أو ثبت ما نُسب إلى رسول الله ﷺ من أنّه أمر بلزوم اتّباع سنّة الشيخين بقوله: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر..»، لما خالف الصحابة أمر الرسول ﷺ بلزوم سنة الشيخين من بعده، كما قد عرفت ذلك من قول الغزالي والدكتور البغا.

وأما عن قولك: (ولم يقل: اقتدوا بعلي بن أبي طالب)، نقول:

إنَّ النبيّ الأكرم ﷺ قد أثبت لعليّ عليه السلام في يوم غدير خم الأولوية على المؤمنين من أنفسهم، التي تعني نفوذ حكمه عليهم، ولزوم إطاعتهم له، وهذا أمر واضح لا يغالط فيه إلّا من سلب الله منه نعمة الفهم السليم!!

---

(١) المستصفى، الغزالي، ص ١٦٨.
(٢) أثر الأدلة المختلف فيها في الفقه الإسلاميّ، للدكتور مصطفى ديب البغا، ص٣٤٧.

فقد قال ﷺ أمام الألوف من الصحابة يوم غدير خم: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» وهذا الحديث متواتر، نصّ على ذلك جمعٌ كبير من علماء أهل السنّة، نذكر منهم:

-السيوطي في "قطف الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة"(١).

- الذهبي في "سير أعلام النبلاء"(٢).

-الكتاني في "نظم المتناثر من الحديث المتواتر"(٣).

-الزبيدي في "لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة"(٤).

-الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة"(٥)، وغيرهم كثير.

وقد أثبت الإمام الغزالي دلالة حديث الغدير على الخلافة وبيّن انقلاب الصحابة، فقال في كتابه "سر العالمين": «لكن أسفرت الحجّة وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث، من خطبته في يوم غدير خمّ، باتّفاق الجميع، وهو يقول: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه. فقال عمر: بخٍ بخ يا أبا الحسن، لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. فهذا تسليم ورضا وتحكيم، ثمّ بعد هذا غلب الهوى لحب الرياسة، وحمل عمود الخلافة، وعقود البنود، وخفقان الهوى في قعقعة الرايات،

(١) قطف الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة، ص٢٢٧.
(٢) سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٣٣٥.
(٣) نظم المتناثر من الحديث المتواتر، ص٢٠٦.
(٤) لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة، ص٢٠٥.
(٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٤، ص٣٤٣.

واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار؛ سقاهم كأس الهوى، فعادوا إلى الخلاف الأوّل، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنًا قليلًا»[١].

وقد أوضح النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هذا المطلب ببيانٍ واضح وصريح حين قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[٢].

وحين قال: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله، حبل ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض»[٣].

فهذا الحديث العظيم، والمعروف بحديث الثقلين، الذي صححه على اختلاف طرقه وألفاظه كثير من جهابذة الحديث عند أهل السنّة، أمثال: ابن حجر العسقلاني، والهيتمي، وابن كثير، والطحاوي والحاكم، والبوصيري، وشعيب الأرناؤوط[٤].

---

(١) مجموعة رسائل الإمام الغزالي، كتاب سر العالمين، ص٤٨٣.

(٢) مختصر صحيح الجامع الصغير، للسيوطي والألباني، رقم الحديث:١٧٢٦-٢٤٥٨.

(٣) صحيح الجامع الصغير، للألباني، ج١، ص٤٨٢؛ مسند أحمد بن حنبل، برقم:٢١٦٥٤، تصحيح شعيب الأرناؤوط.

(٤) انظر على الترتيب: المطالب العالية، ج٤، ص٦٥، برقم:٣٩٧٢؛ الصواعق المحرقة، ج٢، ص٤٣٩؛ تفسير ابن كثير، ج١٢، ص٢٧١؛ شرح مشكل الآثار، ج٥، ص١٨؛ المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٤٨؛ إتحاف الخيرة المهرة، ج٩، ص٢٧٩؛ مسند أحمد، تصحيح الأرناؤوط، حديث رقم: ١١١٠٤.

يستفاد منه أنّ هناك مرجعية عيّنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم للأمّة من بعده يكون التمسك بها منقذًا للأمّة من الضلال، وهذه المرجعية هي العترة الطاهرة، وهي مرجعية معصومة بنصّ حديث الثقلين الذي قال: إنّها لا تفارق القرآن، ولا يفارقها إلى يوم القيامة، فالقرآن الكريم هو قرآن معصوم بنصّ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[١]، فكذلك يكون حال من لا يفارقه، ولا يفترق عنه أبدًا، وإلّا حصل الفراق بينهم وبين القرآن بأدنى مخالفة أو معصية منهم، وهو خُلف مضمون الحديث.

قال المناوي الشافعي في "فيض القدير": «وعترتي أهل بيتي، تفصيل بعد إجمال بدلًا أو بيانًا، وهم أصحاب الكساء الّذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيرًا»[٢].

والنتيجة: أنه قد صح متواترًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمر بلزوم الاقتداء بعلي عليه السلام والتمسك به.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) فصلت: ٤١-٤٢.

(٢) فيض القدير في شرح الجامع الصغير، ج٣، ص١٩.

إناطة الحق والباطل بالكثرة والقلة قياسٌ باطل

المستشكل: صلاح مجد الدين

الإشكال: الذين قاتلوا عليًّا هم شيعة معاوية وشيعة عائشة، وتقديرهم يصل الى السبعين ألفًا، مما يعني أن ثلث الأمة لم تبايع عليًّا، ومن تتخلف عنه ثلث الأمة عن مبايعته، كيف يكون أهلًا للخلافة، والجميل في كل هذا هو أن الأمة قد أجمعت على عثمان، وبهذا تكون خلافة عثمان أفضل من خلافة عليّ رضي الله عنهم جميعًا؛ لأن الله زكى الأمة، فالخير فيما أجمعت عليه.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الإشكال قائم على قياسٍ باطل، وهو قياسُ الحق مع الكثرة والباطل مع القلة، فلو كان ثلث الأمة لم يبايع عليًّا عليه السلام، هو القياس

في بطلان البيعة وصحتها، فبيعة أبي بكر باطلة أيضًا؛ لأن كثيرًا من الصحابة لم يبايعوه، ومنهم أهل مكة، ثم هؤلاء الذين لم يبايعوا عليًّا عليه السلام كانوا مخطئين بإجماع الأمة.. فما المسوِّغ الذي من أجله تعطى الميزة لأهل الخطأ على أهل الصواب.. هل هو السفه أو التسفيه؟!

قال ابن حجر في "فتح الباري": «وذلك أن عليًّا كان إذ ذاك إمام المسلمين وأفضلهم يومئذ باتفاق أهل السنة؛ ولأن أهل الحل والعقد بايعوه بعد قتل عثمان، وتخلف عن بيعته معاوية في أهل الشام ثم خرج طلحة والزبير، ومعهما عائشة إلى العراق»(١). فهذا ردُّ علماء أهل السُّنة على بعض المتطفلين على الدين وأهله.

قال المحققان "محمد البرزنجي"، و"محمد صبحي"، في "صحيح وضعيف تاريخ الطبري": «إن تخلف أحد أعيان الصحابة أو اثنين عن البيعة لا يقدح في إجماع الصحابة على أحقية سيدنا عليّ بالخلافة... وخلاصة القول فإن أهل الحل والعقد من الصحابة، والذين كانوا وقتها في مكة والمدينة قد بايعوا سيدنا عليًّا خليفة رابعًا للمسلمين، وبهم تنعقد البيعة باتفاق أهل السنة والجماعة، وبقية الناس تبعٌ لهم في ذلك»(٢).

وقال الإمام الأشعري: «وتثبت إمامة عليّ بعد عثمان بعقدِ مَن عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد؛ ولأنه لم يدّعِ أحدٌ من

(١) فتح الباري، ج٦، ص٦١٧.
(٢) صحيح وضعيف تاريخ الطبري، ج٣، ص٣٧٥.

أهل الشورى غيره في وقته، وقد اجتمع على عدله وفضله»[١].

وقال الحسن البصري: «والله ما كانت بيعة عليّ إلا كبيعة أبي بكر وعمر»[٢].

وقال الإمام سليمان بن طرخان (المتوفى ١٤٣ هـ): «بايع عليًّا أهل الحرمين، وإنما البيعة لأهل الحرمين»[٣]، يعني بذلك أنهم أهل الحل والعقد آنذاك.

وقال ابن سعد في طبقاته: «لما قُتل عثمان يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وبويع لعلي بن أبي طالب رحمه الله بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان بالخلافة بايعه طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمار بن ياسر، وأسامة بن زيد، وسهيل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت، وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله وغيرهم»[٤].

ثم إننا لم نجد من علماء أهل السُّنة من يعزو عدم انعقاد البيعة وبطلانها إلى القلة، وصحة انعقادها إلى الكثرة، بل وجدناهم يصحِّحون البيعة ولو برجلٍ واحد، الأمر الذي نصّ عليه جمع من علمائكم مثل

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة، ص٧٨.
(٢) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين، ص٧٧.
(٣) أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٠٨.
(٤) الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣١.

أبي الحسن الأشعري وابن حزم[١]، والإيجي في "المواقف"، والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن"[٢]، وغيرهم كثيرٌ، حيث استدلوا ببيعة أبي بكر، فإن عمر هو الذي بايعه، وبيعة عثمان، فإن عبد الرحمن بن عوف هو الذي بايعه.. قال الإيجي في "المواقف": «وإذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة فاعلم أن ذلك لا يفتقر إلى الإجماع؛ إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والاثنان من أهل الحل والعقد كافٍ، لعلمنا أن الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك، كعقد عمر لأبي بكر، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان، ولم يشترطوا اجتماعَ مَن في المدينة، فضلاً عن إجماع الأمة، هذا ولم ينكر عليهم أحد، وعليه انطوت الأعصار إلى وقتنا هذا»[٣].

فلماذا إذن هذا الهرف بإدخال قياس القلة والكثرة في البيعة؟! هل تريدون أن تنقضوا أصولكم في الخلافة.. أو هو التهريج؟!

فقد أجبناكم عن هذا التهريج في الإشكال ببحثٍ واضح حول القلة والكثرة، واتضح أنها لا قيمة لها، فالبيعة تصح ببيعة رجلٍ واحد من أهل الحل والعقد.

ودعوى أن (الله زكى الأمة، فالخير فيما أجمعت عليه)، يردها: أن

(١) انظر: الفِصل في الملل والأهواء والنحل، ج٤، ص١٣٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٢٦٩.
(٣) المواقف، ج٢، ص٥٩٠.

هذه التزكية وردت على نحو العموم المجموعي لا الجمعي، كما يؤكد ذلك القرطبي بقوله نقلًا عن ابن عبد البر: «(خير الناس قرني)ليس على عمومه؛ بدليل ما يجمع القرن من الفاضل والمفضول، وقد جمع قرنه جماعة من المنافقين والمظهرين للإيمان وأهل الكبائر الذين أقيمت عليهم وعلى بعضهم الحدود»[١].

فبيان القرطبي وابن عبد البر يشي بوجود الفاسقين والعصاة والجناة والبغاة من الصحابة الذين يشكلون عند أهل السنة إجماعًا على الحق، يفرحون به، حسب ما يذهبون إليه من نظريتهم البائسة في عدالة الصحابة!

وأيضًا ورد في سندٍ صحيح عن ابن مسعود أنه قال: «الجماعة ما وافق الحق، ولو كنت وحدك»، صححه الألباني في تعليقته على مشكاة المصابيح[٢].

وجاء عن الفضيل بن عياض قوله: «عليك بطريق الهدى وإن قلّ السالكون، واجتنب طريق الردى وإن كثر الهالكون»[٣].

وعن ابن القيم في "إعلام الموقعين": «اعلم أن الإجماع والحجة

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٤، ص١٧١.
(٢) مشكاة المصابيح، ج١، ص٦١.
(٣) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، للسيوطي، ص١٥٢.

والسـواد الأعظـم هـو العـالم صاحـب الحـق، وإن كان وحـده، وإن خالفـه أهـل الأرض، فـإذا ظفـرت برجلٍ واحـد مـن أولي العلـم، طالـب للدليـل، محكـم لـه، متبـع للحـق حيـث كان وأيـن كان، ومع مـن كان، زالـت الوحشـة وحصلـت الألفـة...»[1].

وعليـه فإناطـة الحـق والباطـل بالكثـرة والقلـة هـو قيـاسٌ باطـل كـما صدحـت بـه البينـات الواضحـات مـن القـرآن الكريـم وكذلـك الآثـار الواضحـة من سـلف الأمـة.... وبهـذا يسـقط كل هـذا الهـرف الـذي تغنـى بـه صاحـب الإشـكال هنـا.

والحمـد لله أوّلًا وآخـرًا، وصلّى الله، وسـلّم عـلى سـيّدنا ونبيّنـا محمّـد وآلـه الطيّبـين الطاهريـن المعصومـين المنتجَبـين.



(١) إعلام الموقعين، ج٣، ص٣٩٨.

الخلاف في تاريخ ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووفاته

المستشكل: عبدالله العتيبي

الإشكال: إذا كنتم تحتفلون بيوم مولده صلى الله عليه وسلم فاليوم الذي ولد فيه هو بعينه الذي توفي فيه، فهل ستخصصونه للفرح أو للحزن فيه؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

الكلام يقع في محورين:

المحور الأول: بيان الخلاف في ولادته صلى الله عليه وآله وسلم.

أما ولادته صلى الله عليه وآله وسلم فقد اتفق الشيعة سلفًا وخلفًا على أن ولادته كانت في ليلة الجمعة في السابع عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل عند طلوع الفجر[1].

---

(١) انظر: الدرر النجفية من الملتقطات اليوسفية، للمحقق البحراني، ج١، ص٣٣٧.

غير أنه وقع خلافٌ شديد بين أهل السُّنة في عام ولادته وشهرها ويومها ﷺ. أما الخلاف في عام ولادته ﷺ، فابن قيم الجوزية في "زاد المعاد" يقول: «لا خلاف أنه ولد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجوف مكّة، وأن مولده كان عامَ الفيل»[١].

في حين نرى أن ابن كثير في "البداية والنهاية" يذكر أن بعض الروايات تقول: إن الرسول ولد بعد عام الفيل بعشر سنوات كما روى عبد الرحمن بن أبزي، وهو مولى نافع بن عبد الحارث، ومن رواة الأحاديث، وقيل: إن الرسول ولد بعد الفيل بثلاث وعشرين سنة كما روى شعيب، وروى موسى بن عقبة عن الزهري أن الرسول ولد بعد الفيل بثلاثين سنة، وقال أبو زكريا العجلاني -كما روى ابن عساكر- أن النبي ولد بعد الفيل بأربعين سنة، وروى خليفة بن خياط عن ابن عباس أن النبي ولد قبل الفيل بخمس عشرة سنة[٢].

وأما الخلاف في الشهر الذي ولد فيه ﷺ، فقد ذكر معظم المؤرخين أن النبي ﷺ ولد في شهر ربيع الأول، وفي روايةٍ عن الزبير بن بكار أوردها أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي في كتابه "الروض الأنف"، قال: «وقال الزبير: كان مولده في رمضان، وهذا القول موافق لقول من قال: إن أمه حملت به في أيام التشريق، والله أعلم»[٣].

---

(١) زاد المعاد، ج١، ص٧٢.
(٢) انظر: البداية والنهاية، ج٢، ص٢٦٢.
(٣) الروض الأنف، ج٢، ص٩٨.

إذن نحن لدينا روايتان في الشهر الذي ولد فيه النبي ﷺ، إحداهما تقول: في ربيع الأول، والثانية تقول: في رمضان.

وأما الخلاف في اليوم الذي ولد فيه ﷺ فذُكرتْ في ذلك عدة أقوال:

القول الأول: الثاني من ربيع الأول، حكاه ابن عبد البر بكتابه "الاستيعاب"، بالإضافة إلى ما أورده ابن سعد عن طريق الواقدي، الذي نقل هذه المعلومة عن أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن المدني.

القول الثاني: الثامن من ربيع الأول، رجَّحه أبو الخطاب بن دحية في كتابه (التنوير في مولد البشير النذير)، وأتى على ذِكره ابن عبد البر وابن كثير، كما رواه الخوارزمي وابن حزم ومالك في رواية عن محمّد بن جبير بن مطعم، ورواه عقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمَّد بن جبير بن مطعم، ونقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه، وقطع به محمَّد بن موسى الخوارزمي، ورجّحه الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه (التنوير في مولد البشير النذير)[(١)].

القول الثالث: التاسع من ربيع الأول، قال الشيخ العثيمين: «وقد حقق بعض الفلكيين المتأخرين ذلك (أي مولده -صلى الله عليه وسلم-) فكان اليوم التاسع لا في اليوم الثاني عشر»[(٢)].

(١) انظر: الروض الأنف، الوكيل، ج٢، ص١٥٨.
(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد، ج١، ص٤٩١.

وهـو مـا أخـذ بـه المباركفـوريُّ صاحـب "الرحيـق المختـوم" بقولـه: «ولـد سـيد المرسـلين صـلى الله عليـه وسـلم في شـعب بنـي هاشـم بمكـة في صبيحـة يـوم الإثنـين التاسـع مـن شـهر ربيـع الأول، لأول عـام مـن حادثـة الفيـل، ولأربعـين سـنة خلـت مـن ملـك كسـرى أنوشـروان، ويوافـق ذلـك العشريـن أو الثـاني والعشريـن مـن شـهر أبريـل سـنة ٥٧١ م حسـبما حققـه العـالم الكبـير محمـد سـليمان المنصـور فـوري والمحقـق الفلكـي محمـود باشـا»[١].

القـول الرابـع: الثـاني عـشر مـن ربيـع الأول، قـال ابـن كثـير في البدايـة والنهايـة: «نـصّ عليـه ابـن إسـحاق، ورواه ابـن أبي شـيبة في مصنفـه عـن عفـان عـن سـعيد بـن مينـا عـن جابـر، وابـن عبـاس أنهـما قـالا: ولـد رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم عـام الفيـل يـوم الإثنـين الثـاني عـشر مـن شـهر ربيـع الأول»[٢].

القـول الخامـس: السـابع عـشر مـن ربيـع الأول، وهـذا التاريـخ كاد أن يكـون متفقًـا عليـه بـين الشـيعة والسُّـنة، فقـد جـاء في "موجـز دائـرة المعـارف الإسـلامية": «وذهـب الحافـظ الدمياطـى إلى أنـه كان لسـبع عـشرة ليلـة خلـت منـه [أي مـن ربيـع الأول]»[٣].

وهـو أحـد الأقـوال التـي نقلهـا عبـد القـادر بـن شـيخ العيـدروس في "النـور السـافر" قـال: «وكانـت ولادتـه عليـه الصـلاة والسـلام يـوم الإثنـين

(١) الرحيق المختوم، ص٤٥.
(٢) البداية والنهاية، ج٣، ص٣٧٥.
(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج٧، ص٢١٠٣.

لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول... وقيل: ليلة الجمعة السابع عشر من ربيع الأول»[١].

ونقله -أيضًا- أبو عبد الله مغلطاي الحنفي في "الإشارة إلى سيرة المصطفى" فقال: «قيل: لسبع عشرة [أي من ربيع الأول]»[٢].

وأورده الشيخ العثيمين في سياقِ ذكرِه لأقوال المؤرخين، فقال: «وقد اضطربت أقوال المؤرخين في ذلك، فبعضهم زعم أن ولادته في اليوم الثاني من الشهر، وبعضهم في الثامن، وبعضهم في التاسع، وبعضهم في العاشر، وبعضهم في الثاني عشر، وبعضهم في السابع عشر»[٣].

إذن، الخلاف قائم بين علماء أهل السُّنة على يوم مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشهره وعامه، في حين اتفاق الشيعة منعقدٌ على ذلك، بل ومتفَق عليه كما بيّناه في القول الخامس.

المحور الثاني: بيان الخلاف في وفاته صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما بخصوص تاريخ وفاته صلى الله عليه وآله وسلم فإنه لم يرد أيّ حديثٍ صحيحٍ عن تاريخ وفاته، الأمر الذي أدى إلى اختلاف علماء أهل السُّنة في

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص٩.
(٢) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء، ص٥٧.
(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، ج٦، ص٢٠٠.

تحديد تاريخ وفاته ﷺ، فقد وقع الخلاف بينهم في تاريخ اليوم الذي مات فيه ﷺ، على عدة أقوال، وفيما يأتي تفصيل للخلاف:

القول الأول:

الأول من ربيع الأوّل، وهو قولٌ منقول عن الليث بن سعد(١).

القول الثاني:

الثاني من ربيع الأوّل، ذكره سليمان بن طرخان التيميّ في المغازي، ونقله عنه العينيّ في عمدة القاري، وقال: إنّ المرض بدأ مع النبي -عليه الصلاة والسلام في اليوم الثاني والعشرين من صفر، فكان أول يوم مرِض فيه هو السبت، ووفاته كانت يوم الإثنين الثاني من ربيع الأول، وكذا قال جماعة من المؤرّخين(٢).

القول الثالث:

الثاني عشر من ربيع الأول، وذكره محمد بن إسحاق في سيرته، ونُقِلَ عن حَبر الأمّة ابن عبّاس أنّه قال كذلك(٣).

واستشكل فيه السهيلي، وتابعه غير واحد في ما عليه الأكثر من كونه مات يوم الإثنين الثاني عشر من ربيع الأول، وذلك أنهم اتفقوا على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة، وهو التاسع من

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ص٦٠.
(٢) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ص٦٠.
(٣) المصدر السابق.

ذي الحجة، فدخل ذو الحجة يوم الخميس، فكان المحرم إما الجمعة وإما السبت، فإن كان الجمعة فقد كان صفر إما السبت وإما الأحد، وإن كان السبت فقد كان ربيع الأول الأحد أو الإثنين، وكيفما دارت الحال على هذا الحساب فلم يكن الثاني عشر من ربيع الأول بوجهٍ[(١)].

والصحيح هو ما عليه أكثر الشيعة الإمامية، من أن وفاته صلى الله عليه وآله وسلم كانت في الثامن والعشرين من صفر، بدليل ما لو أخذنا بنظر الاعتبار ما أقره أئمة أهل السُّنة من كونه صلى الله عليه وآله وسلم قد توفي بعد حجِّه بأحد وثمانين يومًا، حسبما نقله ابن كثير في تفسيره قائلاً: «وقال ابن جرير وغير واحد: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يومًا»[(٢)].

سنجد أن تاريخ وفاته صلى الله عليه وآله وسلم يتوافق مع ما عليه الشيعة إذا تم حساب الثمانين من يوم عرفة، يقول السيد جعفر العاملي في "الصحيح من سيرة النبي الأعظم": «ما يقوله الشيعة هو الأصح: لقد ذكر أكثر الإمامية: أن النبي صلى الله عليه وآله قبض يوم الإثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهو قول الشيخ الطوسي وغيره، وما ذكروه من أنه (صلى الله عليه وآله) قد توفي بعد حجه بثمانين، أو بإحدى وثمانين يوماً يتوافق مع ما عليه أكثر الإمامية، من أنه توفي في الثامن والعشرين من صفر، إذا كان مبدأ حساب الثمانين من يوم عرفة (فإن الحج عرفة) كما روَوا»[(٣)].

---

(١) سبل الهدى والرشاد، ج ١٢، ص ٣٠٦.

(٢) تفسير ابن كثير، ج٣، ص٢٣.

(٣) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، ج ٣٢، ص٣٤٦.

وبهذا يتضح شدة الخلاف وعدم الاتفاق بين علماء أهل السنة على يوم وشهر وعام مولد ووفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بخلاف ما عليه الشيعة، حيث اتفق أكثرهم على أنه صلى الله عليه وآله وسلم ولد في السابع عشر من ربيع الأول عام الفيل، وتوفي في الثامن والعشرين من شهر صفر، الأمر الذي يدحض الإشكال الوارد من كون تاريخ مولده صلى الله عليه وآله وسلم هو نفسه تاريخ وفاته، فهل يخصص للاحتفال أو للحزن؟

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



ما جَمَع القرآن وحفِظه إلّا عليّ بن أبي طالب

المستشكل: أبو رقاد

الإشكال: أين القرآن الكريم الذي جمعه الإمامُ عليٌّ حتّى نتمسَّك به؟ وإذا كان هناك مانعٌ من إظهاره في بادئ الأمر فلماذا إذن لم يُظهره أيام حكمه وخلافته؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

لقد اعترَف علماء أهل السُّنة بالمُصحَف الذي جمعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وليس فيه زيادةٌ أو نقيصةٌ عن المُصحف الموجود الآن، غير أنه مرتّب بحسب النزول، وفيه ذكرُ الناسخ والمنسوخ وبعض التفسير والتأويل.

قال ابن جزي الغرناطي الكلبي في كتابه "التسهيل لعلوم التنزيل": «كان القرآن على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم متفرقًا في الصُّحف

وفي صدور الرجال، فلما تُوفي رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قعد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في بيته، فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وُجد مُصحفه لكان فيه علمٌ كبير، ولكنه لم يوجد»[١].

ونَقل ابن عبد البرّ بسنده عن محمّد بن سيرين أنّه قال: «فبلغني أنّه كتب على تنزيله، ولو أُصيب ذلك الكتاب لكان فيه علمٌ»[٢].

وعن ابن أشتة في "الإتقان": «كَتب في مُصحفه الناسخ والمنسوخ»[٣].

وعن السيوطي في "الإتقان": «جمهور العلماء اتفقوا على أنّ ترتيب السُّوَر كان باجتهاد الصحابة، وأنّ ابن فارس استدلّ لذلك بأنّ منهم من رتّبها على النزول، وهو مُصحف عليٍّ، كان أوّله: (إقرأ) ثمَّ (نون) ثمَّ (المزّمّل)، هكذا ذكر السور إلى آخر المكي ثمَّ المدني»[٤].

إلى غير ذلك من الآثار والأقوال التي تقرِّر وجودَ مُصحف عليٍّ عليه السلام بنحوٍ لا يقبل الشك.

وأمّا الشيعة فقد ذكروا مُصحف عليٍّ عليه السلام في كتبهم، رواياتٍ وأقوالًا، فقد جاء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قولُه: «ما نَزلت آيةٌ على رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أقرأنيها، وأملاها عليّ، فأكتبها بخطّي.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ج١، ص١٢.
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٣، ص٩٤.
(٣) الإتقان، للسيوطي، ج١، ص٥٨.
(٤) الإتقان، ج١، ص٦٦.

وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها. ودعا اللهَ لي أنْ يعلمني فهمَها وحفظها، فما نسيتُ آيةً من كتاب الله، ولا علمًا أملاه عليّ فكتبتُه منذ دعا لي ما دعا»[١].

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام: «ما ادّعى أحدٌ من الناس أنّه جَمع القرآن كلّه كما أُنزل إلّا كذّاب، وما جمعه، وحفظه كما نزّله الله تعالى إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده»[٢].

وجاء عن الشيخ الصدوق: «وقد نزل من الوحي الذي ليس بقرآنٍ . . . وكان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام جَمَعه، فلما جاء به قال: هذا كتابُ ربّكم كما أنزل على نبيّكم، لم يُزَد فيه حرفٌ، ولا يُنقص منه حرف»[٣].

فروايات الشيعة وكلمات علمائهم تطابق تمامًا ما ورد في كلمات أهل السُّنة عن المُصحف المذكور.

وقد تسأل: أين هذا المصحف الآن؟ وما هو مصيره؟!

يجيب عن ذلك علماءُ أهل السُّنة أنفسهم، ومنهم عبد الكريم الشهرستاني (٥٤٨هـ) يقول في كتابه "مفاتيح الأسرار ومصابيح الأنوار": «وهو عليه السلام لمّا فرغ من تجهيز رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، آلى أنْ لا يرتدي برداءٍ

(١) الكافي، ج١، ص٦٤.
(٢) الكافي، ج١، ص٢٢٨.
(٣) الاعتقادات في دين الإمامية، ص٩٢.

إلّا لجمعة حتّى يجمع القرآن؛ إذ كان مأمورًا بذلك أمرًا جزمًا، فجمعه كما أُنزِل من غير تحريفٍ وتبديل وزيادة ونقصان، وقد كان أشار النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى مواضع الترتيب والوضع والتقديم والتأخير... ويروى أنّه لمّا فرغ من جمعه أخرجه هو وغلامه قنبر إلى النّاس، وهم في المسجد... وقال لهم: هذا كتابُ الله كما أنزله على محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم، جمعْتُه بين اللّوحين، فقالوا: ارفع مُصحفك لا حاجة بنا إليه، فقال: والله لا ترونه بعد هذا أبدًا، إنّما كان عَلَيَّ أن أُخبركم حين جمعتُه. فرجع به إلى بيته قائلًا: (يا ربِّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجورًا)، وتركهم على ما هم عليه كما ترك هارون عليه السلام قوم أخيه موسى بعد إلقاء الحجَّة عليهم، واعتذر لأخيه بقوله: (إنّي خشيت أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل، ولم ترقب قولي)...»[١].

وفي مصادر الشيعة، روى الشيخ الكليني في "الكافي": «عن سالم بن سلمة، قال: قرأ رجلٌ على أبي عبد الله عليه السلام، وأنا أستمع حروفًا من القرآن، ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: كفّ عن هذه القراءة، اقرأْ كما يقرأُ الناس حتّى يقوم القائم، فإذا قام القائم عليه السلام قَرأ كتاب الله عز وجل على حدِّه، وأخرج المصحف الذي كتبه عليّ عليه السلام، وقال: أخرجه عليٌّ عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه، وكتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله عزّ وجل كما أنزله الله على محمد صلى الله عليه وآله، وقد جمعته من اللوحين، فقالوا: هو ذا عندنا مصحفٌ جامعٌ فيه القرآن، لا حاجة لنا فيه، فقال: أما واللهِ ما ترونه

(١) مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، ج١، ص١٢١.

بعد يومكم هذا أبدًا، إنّما كان عليَّ أنْ أُخبركم حين جمعتُه لتقرؤوه»[١].

وأما عن قولك: (لماذا لم يُظهر الإمام عليّ هذا القرآن الذي كتبه أيام حكمه وخلافته؟!).

نقول: يجيبنا عن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام نفسه، فعندما سأله طلحة بعد مدّة أنْ يُظهر هذا القرآن للناس قال له: «لا أراك يا أبا الحسن أجبتَني عما سألتُك عنه من أمر القرآن، ألا تظهره للناس. قال: يا طلحة عمدًا كففت عن جوابك، فأخبرني عمّا كتب عمر وعثمان أقرآن كلّه أم فيه ما ليس بقرآن؟! قال طلحة: بل قرآنٌ كلّه. قال: إنْ أخذتم بما فيه نجوتم من النار، ودخلتم الجنة، فإنَّ فيه حُجّتنا وبيان حقّنا وفرض طاعتنا، فقال طلحة: حسبي، أما إذا كان قرآناً فحسبي»[٢].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

(١) الكافي، ج٢، ص٦٣٣.
(٢) كتاب سليم، ص٢١٢، التفسير الصافي، ج١، ص٤٢، الاحتجاج للطبرسي، ج١، ص٢٢٥.

قراءة الإمام المعصوم للقرآن

المستشكل: لبنى التميمي
الإشكال: دلونا على قراءة إمام واحد من معصوميكم للقرآن، أين نجد قراءة المعصوم للقرآن حتّى نتعلمها؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله المطهرين..

إنّ أئمتنا عليهم السلام أقرّوا الناس على قراءتهم هذه للقرآن الكريم، قال السيد الخوئي قدس سره في كتابه "البيان في تفسير القرآن": «بالنظر إلى ما ثبت قطعياً من تقرير المعصومين عليهم السلام شيعتهم على القراءة بأية واحدة من القراءات المعروفة في زمانهم، فلا شكّ في كفاية كل واحدة منها. فقد كانت هذه القراءات معروفة في زمانهم، ولم يرد عنهم أنّهم ردعوا عن بعضها، ولو ثبت الردع لوصل إلينا بالتواتر، ولا أقل من نقله بالآحاد، بل ورد عنهم عليهم السلام إمضاء هذه القراءات بقولهم: (إقرأ كما

يقرأ الناس. إقرؤا كما علّمتم). وعلى ذلك فلا معنى لتخصيص الجواز بالقراءات السبع أو العشر، نعم يعتبر في الجواز أن لا تكون القراءة شاذة، غير ثابتة بنقل الثقات عند علماء أهل السنّة، ولا موضوعة، أمّا الشاذة فمثالها قراءة (ملك يوم الدين) بصيغة الماضي ونصب يوم، وأمّا الموضوعة فمثالها قراءة (إنما يخشى الله من عباده العلماء) برفع كلمة الله ونصب كلمة العلماء على قراءة الخزاعي عن أبي حنيفة.

وصفوة القول: أنه تجوز القراءة في الصلاة بكل قراءة كانت متعارفة في زمان أهل البيت عليهم السلام»[١].

والحمد لله أوّلا وآخراً، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) البيان في تفسير القرآن، ص١٦٧-١٦٨.

إثباتُ عدمِ مشروعيَّة صلاة التراويح

السائل: الشيخ عبد الله الكربلائي

السؤال: أهل السُّنّة والجماعة يصلّون نافلة رمضان جماعةً، والتي تعرف بصلاة التراويح، والشيعة الإمامية يصلّونها فرادى؛ لأنّهم يقولون: إنّها لم تشرَّع جماعةً، فكيف نُثبت ما عليه الشيعة الإمامية بأدلةٍ لا يماري فيها الخصم، وما الأدلةُ التي تثبت بِدْعيَّة صلاة التراويح؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

قبل كلّ شيء علينا أنْ نعرف أنّ الأصل في العبادات هو التوقيف والمنع دون الجواز، بمعنى: أنّ أيّ شيءٍ يرتبط بالأمور العباديّة -كالصلاة والصيام- من حيث ثبوتها أو صفتها أو شرائطها لا بدّ من وجود دليلٍ يدلّ عليه من الشرع، وإلا كان الإتيان به محرَّمًا وممنوعًا؛ والنكتة في ذلك أنّ العبادات موقوفةٌ على بيان الشرع وترخيصه، ولا يحقّ لأيّ

شخصٍ أن يشرّع شيئًا من عنده في الأمور العبادية .. وهذا أصلٌ متفقٌ عليه بين المسلمين جميعًا، ولا مجال للجدل فيه.

قال ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى": «تصرفات العبادات من الأقوال والأفعال نوعان: عبادات يصلح بها دينهم، وعبادات يحتاجون إليها في دنياهم، فباستقراء أصول الشريعة نعلم أنّ العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع ...ولهذا كان أحمد وغيره من فقهاء أهل الحديث يقولون: إنّ الأصل في العبادات التوقيف، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى، وإلا دخلنا في معنى قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ الله﴾[(١)]»[(٢)].

فإذا عرفنا أنّ الجماعة هي من أوكد الطاعات والعبادات باصطلاح أهل العلم، بل جعلها بعضُهم من شرائط صحة الصلاة، بمعنى أن تركها من غير عذرٍ مبطلٌ للصلاة.. يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين: «وأمّا الأحاديث فوجوب الجماعة فيها ظاهرٌ، فمَن ترك الصلاة مع الجماعة فهو آثم، بل قال بعض العلماء: إنّ من ترك الصلاة مع الجماعة بلا عذر فصلاته باطلة، وهو إحدى الروايات عن الإمام أحمد، اختارها شيخ الإسلام ابن تيمية»[(٣)].

ومن هنا نسأل الآن: هل شرّع المولى سبحانه وتعالى لنا صلاة نافلة رمضان جماعة.. أي هل جاء بها نص قرآنيّ أو نبويّ بأن تصلى نافلة

(١) الشورى:٢١.
(٢) مجموع الفتاوى، ج١٦، ص٢٩.
(٣) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين، مسألة: ٩٢٧.

رمضان جماعةً، أو ثبت أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد صلاها جماعة، ولو مرةً واحدة، حتى نثبت مشروعيّتها من فعله صلى الله عليه وآله وسلم، بحيث تترتب عليها أحكام الجماعة الموجودة في الصلاة المكتوبة من حيث الأجر والثواب أو الصحة والبطلان ؟؟!!

يُجيبنا علماء أهل السُّنة أنفسهم على هذا السؤال:

قال القسطلاني في "إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري" عند بلوغه إلى قول عمر في قوله (نعمت البدعة هذه): «سمّاها بدعة؛ لأنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يَسنّ لهم الاجتماع لها، ولا كانت في زمن الصديق. ولا أوّل الليل، ولا هذا العدد»[(١)].

وجاء عن العيني في "عمدة القاري شرح صحيح البخاري": «وإنما دعاها بدعة؛ لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يَسنّها لهم، ولا كانت في زمن أبي بكر، ولا رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيها»[(٢)].

وعن ابن الجوزي في "كشف المشكل من أحاديث الصحيحين": «وقوله نعمت البدعة، البدعة فعل شيء لا على مثال تقدم فسمّاها بدعة؛ لأنّها لم تكن في زمن رسول الله على تلك الصفة ولا في زمن أبي بكر»[(٣)].

---

(١) إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري، ج٥، ص٤.
(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٦، ص١٢٦.
(٣) كشف المشكل من أحاديث الصحيحين، ج٤، ص١١٦.

وعن ابن الأثير في "النهاية في غريب الحديث"، مادة "بدع" قال: «..لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يَسنّها لهم، وإنّما صلاها ليالي، ثمّ تركها، ولم يحافظ عليها، ولا جمع الناس لها، ولا كانت في زمن أبي بكر، وإنّما عمر جمع الناس عليها، وندبهم إليها»[(١)].

وجاء عن ابن شحنة حين ذكر وفاة عمر في حوادث سنة ٣٣ من تاريخه "روضة المناظر" قوله: «هو أول من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وجمع الناس على أربع تكبيرات في صلاة الجنائز، وأول من جمع الناس على إمامٍ يصلي بهم التراويح»[(٢)].

وعن ابن سعد في "الطبقات"، قال في ترجمة عمر: «هو أوّل من سنّ قيام شهر رمضان بالتراويح وجمع الناس على ذلك، وكتب به إلى البلدان، وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة..»[(٣)].

إذن .. بشهادة علماء أهل السُّنّة والجماعة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يسنّ نافلة رمضان أن تُصلى جماعة، وهو صلى الله عليه وآله وسلم لم يصلِّها جماعة ولو مرةً واحدة، بل وجدنا الدليل قد جاءنا على خلاف ذلك، فقد روى البخاري في صحيحه، قال: «حدثنا عبد الأعلى بن حماد، قال: حدثنا وهيب، قال: حدثنا موسى بن عقبة عن سالم أبي النضر عن يسر بن سعيد عن زيد بن ثابت أنّ رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) اتخذ حجرة، قال: حسبت أنّه قال من حصير في رمضان، فصلّى فيها ليالي، فصلّى بصلاته

(١) النهاية في غريب الحديث، ج١، ص١٠٧، مادة "بدع".
(٢) روضة المناظر، لابن شحنة، ج١١، ص١٢٢، مطبوع بهامش تأريخ ابن الأثير.
(٣) الطبقات، لابن سعد، ج٣، ص٢١٨.

ناسٌ من أصحابه، فلما علم بهم جعل يقعد، فخرج إليهم، فقال: قد عرفت الذي رأيت من صنيعكم، فصلّوا أيّها الناس في بيوتكم، فإن أفضل صلاة المرء في بيته إلّا المكتوبة»[(١)].

قال الشوكاني في "نيل الأوطار": «"جعل يقعد" أي يصلّي من قعود؛ لئلا يراه الناس، فيأتموا به»[(٢)].

ثم قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «قد عرفت الذي رأيت من صنيعكم، فصلّوا أيّها الناس في بيوتكم، فإنّ أفضل صلاة المرء في بيته إلّا المكتوبة».. واضحُ الدلالة في عدم مسنونية الجماعة في نافلة شهر رمضان.

وها هو ابن عمر يصف من يصلي صلاة التراويح بأنّه كالحمار، فقد روى ابن أبي شيبة في "مصنفه"، قال: حدثنا وكيع (وهو ثقة حافظ عابد) عن سفيان (الثوري (إمام ثقة) عن منصور (وهو ابن المعتمر، ثقة، ثبت، لا يدلس كما يقول ابن حجر) عن مجاهد (أحد الأئمة الثقات) قال: «سأل رجل ابن عمر: أقوم خلف الإمام في شهر رمضان؟ فقال: تنصت كأنّك حمار؟»[(٣)].

وفي طريق عبد الرزاق، وهو صحيح أيضًا: «.. عن مجاهد، قال: جاء رجل إلى ابن عمر، قال: أصلّي خلف الإمام في رمضان؟ قال: أ

---

(١) صحيح البخاري، ج١، ص١٨٦، كتاب الصلاة، باب صلاة الليل.
(٢) نيل الأوطار، ج٣، ص١٧٩.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة، ج٢، ص٢٨٨.م

تقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: أ فتنصت كأنّك حمار؟ صلّ في بيتك»[١].

فلو كانت صلاة نافلة شهر رمضان جماعة هي المسنونة والمشروعة، لما كان ذلك يفوت ابن عمر، ويقول للشخص: إنّك مع امتثالك للسنّة النبوية تكون كالحمار!

وها هو عمر بن الخطاب نفسه يصرح بوضوح قائلاً: (نِعمت البدعةُ هذه) فهل قوله هذا يثبت مشروعية صلاة التراويح، مع أنّ قوله ﷺ: «كلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار»؟!

لنترك الجواب للشيخ الألباني الذي قال في "سلسلة الأحاديث الضعيفة": «وإنّ من عجائب الدنيا أن يحتج بعض الناس... على أنّ في الدين بدعة حسنة، وأنّ الدليل على حسنها اعتياد المسلمين لها!!»[٢].

وإن شغبْنا على أحدهم هنا في تمامية أدلة أداء نافلة شهر رمضان جماعة، فنقول:

لقد ثبت عند علمائكم أنّ مشروعيَّتها في البيت فرادى أفضل من أدائها في المسجد جماعة، بهذا صرّح مالك وأبو يوسفَ وبعض الشافعية حين قالوا:

«إنَّ فعلَها (الصلاةَ ليلاً في رمضانَ) فرادى في البيت أفضلُ، لحديثِ: خيرُ صلاةِ المرءِ في بيتِهِ إلاّ الصلاةَ المكتوبة»[٣].

---

(١) مصنف عبد الرزاق، ج٤، ص٢٦٣-٢٦٤، حديث رقم ٧٧٤٢.
(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة، ج٢، ص١٧.
(٣) يُنظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج٦، ص٣٩، وفتح الباري للعسقلاني، ج٤، ص٢٥٢.

وعن ابن قدامة في "المغني" قال: «والتطوعُ في البيتِ أفضلُ لقولِ رسولِ الله صَلّى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ: عَليكُم بالصلاةِ في بيوتِكُم؛ فإنَّ خيرَ صلاةِ المرءِ في بيتِهِ إلا المكتوبة، رواه مسلم، وعن زيد بن ثابت أنَّ النبيَّ صَلّى اللهُ عَليهِ وسلَّمَ قالَ: صلاةُ المرءِ في بيتِهِ أفضلُ من صلاتِهِ في مسجدي هذا إلّا المكتوبة، رواه أبو داود»[١].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) المغني، ج١، ص٧٧٥.

آلُ محمدٍ هم الراسخون في العلم

المستشكل: منتصر أحمد

الإشكال: ما دليلكم على أنّ أئمتكم هم الراسخون في العلم في قوله تعالى: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ﴾[1].

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

في بادئ الأمر نبيِّن المراد من الرسوخ في العلم، ثمّ نعرِّج على بيان مصاديق الآية الكريمة، قال الراغب الأصفهاني في "المفردات" : «رُسُوخُ الشيء: ثباته ثباتًا متمكّنًا، ورَسَخَ الغدير: نضب ماؤه، ورَسَخ تحت الأرض، والرَّاسِخُ في العلم: المتحقِّق به، الذي لا يعرضه شبهة. فَالرَّاسِخُونَ في العلم هم الموصوفون بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالله

(١) آل عمران: ٧.

وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾[(١)]، وكذا قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾[(٢)]»[(٣)].

وبعد أن اتّضح المقصود من الرسوخ في العلم، نأتي لتطبيق هذا المعنى الذي يكون مصداقه: «المتحقّق به، الذي لا يعرضه شبهة»، و«المؤمن الذي لا تدخله ريبة مطلقًا»، فلا نجده ينطبق على أحدٍ في الأمّة سوى أئمة العترة الطاهرة، فهم الذين جاء فيهم النصُّ النبويّ الصحيح الصريح مؤكّدًا على أنّهم لا يرتابون أبدًا، وأنَّ المتّبِع لهم لن يضلّ أبدًا، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[(٤)].

وفي نصٍّ نبويٍّ آخر، صححه شعيب الأرناؤوط، قال صلى الله عليه وآله وسلم فيه: «إني تاركٌ فيكم خليفتين: كتاب الله، حبلٌ ممدودٌ ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهل بيتي، وأنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض»[(٥)].

قال التفتازاني بعد ذكر الحديث: «أ لا يرى أنّه صلى الله عليه وسلم قرنهم بكتاب الله تعالى في كون التمسّك بهما منقذًا عن الضلالة،

(١) الحجرات: ١٥.
(٢) النساء: ١٦٢.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن، ص٣٥٢.
(٤) مختصر صحيح الجامع الصغير للسيوطي والألباني، رقم الحديث: ١٧٢٦- ٢٤٥٨.
(٥) صحيح الجامع الصغير للألباني، ج١، ص٤٨٢، مسند أحمد بن حنبل، برقم: ٢١٦٥٤.

ولا معنى للتمسّك بالكتاب إلّا الأخذ به بما فيه من العلم والهداية، فكذا في العترة»[١].

وقال الدهلوي في "التحفة الاثنا عشرية": «هذا الحديث – أي: حديث الثقلين– ثابتٌ عند الفريقين: أهلِ السُّنّة والشيعة، وقد عُلم منه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، أمرنا في المقدّمات الدينية والأحكام الشرعية بالتمسّك بهذين العظيمي القدر، والرجوع إليهما في كلّ أمر، فمن كان مذهبه مخالفاً لهما في الأُمور الشرعية اعتقادًا وعملًا فهو ضال، ومذهبه باطلٌ لا يُعبأ به، ومن جحد بهما غوى، ووقع في مهاوي الرّدى»[٢].

وقال السندي في شرحه للحديث في كتابه "دراسات اللبيب": «وفيه مِن تأكُّد أخبار كونهم على الحقّ كالقرآن وصونهم أبدًا عن الخطأ كالوحي المنزَّل ما لا يَخفى على الخبير»[٣].

وقال الحكيم الترمذي في شرح الحديث: «حضَّ على التمسّك بهم؛ لأنَّ الأمر لهم معاينة، فهم أبعد عن المحنة»[٤].

فأئمة أهل البيت عليهم السلام هم عدل القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومَن كان عدلَ القرآن، لا يفارقه، ولا يفترق عنه، فهو معصومٌ من الزلل والخطأ، ويكون محيطًا بكلّ

---

(١) شرح المقاصد، ج٣، ص٥٢٩.
(٢) انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية، ص٥٢.
(٣) دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب، ص٢٣٣.
(٤) فيض القدير، ج٢، ص٢٢٠.

علومه، خاصِّها وعامِّها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها، مجملها ومبيَّنها.

وقد شهدتْ بهذا الأمر النصوصُ الصحيحة التي روتْها كتبُ أهل السُّنّة قبل الشيعة، فقد روى ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم" أنَّ أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام كان يقف على المنبر، ويقول: «سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيءٍ يكون إلى يوم القيامة إلّا حدّثتُكم به، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم بليلٍ نزلت أم بنهار أم بسهل نزلت أم بجبل»[1].

وفي مسند أحمد بن حنبل، يذكر -بإسناد صحيحٍ- تأبينَ الإمام الحسن عليه السلام لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام ويقول: «لقد فارقكم رجلٌ بالأمس لم يسبقه الأوّلون بعلمٍ، ولا يدركه الآخرون، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يبعثه بالراية جبريل عن يمينه، وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتّى يفتح له»[2].

وفي خطبةٍ له عليه السلام في "نهج البلاغة" يذكر فيها فضل أهل بيت النبوّة عليهم السلام، فيقول: «أين الّذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا، كذبًا وبغيًا علينا، أنْ رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يُستعطى الهدى، ويُستجلى العمى، إنّ الأئمّة من قريش غُرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم».

---

(١) جامع بيان العلم، ج١، ص٤٦٤.

(٢) مسند أحمد، ج٣، ص١٦٨، تحقيق أحمد محمّد شاكر.

وفي موضعٍ آخر يقول: «فيهم كرائم القرآن، وكنوز الرحمن، إنْ نطقوا صدقوا، وإنْ صمتوا لم يسبقوا»(١).

وجاء في "الكافي" بسندٍ صحيح عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله»(٢).

وفي "بصائر الدرجات" روى الصفار بسندٍ صحيحٍ عن أبي الصباح الكناني، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا الصباح، نحن قومٌ فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال، ولنا صفْو المال، ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله: **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾**»(٣).

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) يُنظر: نهج البلاغة، تحقيق وتعليق الشيخ محمد عبدة، ج٢: ٢٧، ج١، ص١٨٩.
(٢) الكافي، ج١، ص٢١٣.
(٣) بصائر الدرجات، ص٢٢.

العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء الإنسان فكريًّا واجتماعيًّا ونفسيًّا وخُلقيًّا

السائل: د. أحمد الخالدي

السؤال: الإخوة والأساتذة الفضلاء في مركز الدليل.

السلام عليكم.. لديّ بحث عن أهمية العقيدة في حياة الإنسان على الصعيد الفكري والاجتماعي والنفسي والخلقي، فأرجو توضيح ذلك على نحو نقاطٍ، وشكرًا لكم ولجهودكم.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

تحتلّ العقيدة الإسلامية المركز الأبرز في حياة الإنسان؛ إذ لها الأثر الكبير في بنائه الفكري والاجتماعي والنفسي والخُلُقي.

١ - فأثرها في البناء الفكري قائمٌ على التركيز في كون الإنسان مخلوقًا مكرَّمًا، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ

فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[١].

وأن الإنسان هو المخلوق الوحيد في هذا العالم الذي يمتلك الاستعدادات التي تسمو به إلى مراتبَ عالية؛ ولأجل ذلك كان خليفةَ الله في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

ومن آثار العقيدة الإسلامية تحرير الفكر الإنساني من الاستبداد السياسي وتأليه البشر، كعبودية الملوك والحكّام أو الأُسَر الحاكمة، فكان للعقيدة الإسلامية الأثرُ الكبير في القضاء على العنصريّة والطبقية والتمييز بين الإنسان ونظيره، وكان المنطلَق لذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣].

وكان للعقيدة الإسلامية الأثرُ البالغ في تحرير الإنسان من عبادة الطبيعة وتقديس ظواهرها، وكانت حصنًا منيعًا له من الركون إلى الخرافات والأساطير، لا سيّما في الجانب الاعتقاديّ والسلوكي.

وبالإضافة إلى هذا وذاك، نجد أنّ العقيدة الإسلامية أولتْ عناية

---

(١) الإسراء: ٧٠.
(٢) البقرة: ٣٠.
(٣) الحجرات: ١٣.

كبيرةً في توجيه طاقات عقل الإنسان بإلفات نظره وحثّه على التدبُّر في الكون والحياة، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[١].

ونجد أن أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام يقول في توجيه تلك الطاقة: «ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكنّ القلوب عليلةٌ، والبصائر مدخولة. أ لا ينظرون إلى صغيرِ ما خلق؟ كيف أحكم خلقه، وأتقن تركيبه؟ وفلق له السمع والبصر، وسوّى له العظم والبشر»[٢].

٢ - وأما أثر العقيدة في البناء الاجتماعيّ فهو غرس الشعور بالمسؤولية اتجاه الآخرين أو إيقاظه فيهم، بعد أن كانت الأنا والأنانية هي الانطباع السائد في المجتمع الجاهلي، وكان المنطلق لذلك قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[٣]، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[٤].

---

(١) آل عمران: ١٩١.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص٥٥.
(٣) الصافات: ٢٤.
(٤) التحريم: ٦.

وقول رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الذي جاء فيه: «وأني مسؤولٌ عما أُرسلتُ به إليكم، وعما خَلّفت فيكم من كتاب الله وحجته، وأنكم مسؤولون»[١].

ومن آثارها -أيضًا- نبذ الحميّة الجاهلية، لقوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[٢]، وفي حديثٍ عن رسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيه: «من كان في قلبه حبةٌ من خردلٍ من عصبية، بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية»[٣]، ونقرأ في حديثٍ آخر عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيه: «من تَعصَّب أو تُعُصِّب له فقد خلع رِبقة الإيمان من عنقه»[٤].

وقد حوّلت العقيدة الإسلامية حالة العنف والصراع والتنافس والتنابذ الذي كان سائدًا في المجتمع الجاهلي إلى حالةٍ من الإيثار والتضحية بالنفس لبقاء الآخر، والتعارف والتعاون على البر، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[٥]، وقوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٦].

---

(١) الخصال، للشيخ الصدوق، ص٨٠.
(٢) الفتح: ٢٦.
(٣) الكافي، ج٢، ص٣٠٨.
(٤) الكافي، ج٢، ص٣٠٧.
(٥) الحجرات: ١٣.
(٦) المائدة: ٢.



ولا يخفى أثرُ العقيدة في تغيير العادات والتقاليد الجاهلية التي تُمتهن فيها كرامةُ الإنسان، هذا غير ترسيخ القيم والأخلاق، وإشاعة العادات التربوية الجديدة التي أرسى الإسلام دعائمها في المجتمع المسلم.

٣ - وأما أثر العقيدة في البناء النفسي فقد كان لها إسهامٌ في خلق الطمأنينة والأمان للإنسان، فكان حاضرًا في نفسه مرتكزًا في ذهنه كلما هبّت في وجهه أعاصير الفتن والأهواء، وأبرز تلك الإسهامات قول الإمام عليّ عليه السلام: «أيُّها الناس، انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها، الصادفين عنها، فإنَّها والله عما قليلٍ تُزيلُ الثاوي الساكن، وتفجعُ المتْرَف الآمن... سرورها مشوبٌ بالحزن...»[(١)].

وببيان حقيقة هذا العالم وطبيعة الدنيا، وكونها دارَ فناءٍ مليئةً بالمتاعب والمصائب، التي عبّر عنها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «دارٌ بالبلاءِ محفوفة، وبالغدر معروفة، لا تدوم أحوالها، ولا تسلم نُزّالها، أحوالها مختلفة، وتارات متصرفة، والعيش فيها مذموم، والأمان فيها معدوم، وإنّما أهلُها فيها أغراضٌ مستهدفة، ترميهم بسهامها، وتفنيهم بحمامها»[(٢)]، بذلك تحررت نفس الإنسان من المخاوف التي تحيط بها، والنكبات التي تتحسَّبها، وتحذر منها، هذا بعد أن كان لمعرفة النفس

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج٧، ص١٠٥.
(٢) المصدر السابق، ج١١، ص٢٥٧.

الأثرُ الأبرز في ذلك على ما جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»[١]، وبذلك أصبح الإنسان صلبًا عند الشدائد صبورًا عند المحن، لا يتسرَّب إلى نفسه شك ولا يأس، قال تعالى: ﴿لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٢].

٤ – وأما أثر العقيدة في البناء الخُلُقي والحضاري فبما أنّ عملية البناء الحضاري للإنسان تقتضي التوجيه والهداية، وأن الهداية – بلا شك – تستلزم النجاة، وهي الغاية المنشودة للإنسان، نجد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحرص أشدّ الحرص على هداية الناس إلى سواء السبيل، فقد دعا صلى الله عليه وآله وسلم إلى التحلّي بمكارم الأخلاق كالتواضع والجود والأمانة والحياء والوفاء... وما إلى ذلك، كما نهى عن مساوئ الأخلاق كالبخل والحرص والغدر والخيانة والغرور والكذب والحسد والغِيبة، وما إلى ذلك من مساوئ الأخلاق.

فورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم التأكيد على الجانب الخُلُقي، فقال: «من سعادة المرء حسن الخلق، ومن شقاوته سوء الخلق»[٣]، وفي أثر الخلق الحسن على الذنوب، قال: «إن الخلق الحسن يذيب الذنوب، كما تذيب الشمس الجمد؛ وإن الخُلق السيء يفسد العمل، كما يفسد الخلُّ العسل»[٤]، وفي

(١) المصدر نفسه، ج٢٠، ص٢٩٢.
(٢) يوسف: ٨٧.
(٣) يوسف: ٨٧.
(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص٤٤٥.

الجانب الاجتماعي، قال: «خياركم أحسنكم أخلاقًا، الذين يألفون، ويؤلفون»[١]، وقال ﷺ: «أفضلكم إيمانًا أحسنكم أخلاقًا»[٢].

ولمّا قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ﴾[٣]، وكان قول النبي ﷺ بهذه الآية قائماً مقام قول الله تعالى، وجب على الأمة أن تأخذ بجميع ما آتاها به، وتنتهي عن جميع ما نهاها عنه، ومن ذلك ما صرّح به ﷺ في وصيته لأمته بالتمسك بالثقلين، كتاب الله وعترته أهل بيته عليهم السلام لعدم الافتراق بينهما، فلا يخالفون الكتاب في وقتٍ من الأوقات، ولا يفارقونه، ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٤]، فكانت طاعة الإمام مساوية لطاعة الرسول، حيث جعل الله تعالى طاعتهما مشتركة واحدة؛ لأن العطف يقتضي التساوي في العامل، فيجب أن يكون الإمام معصومًا مثل الرسول، وفي حديث متواتر عند الفريقين، قال ابن حجر الهيتمي في "الصواعق": «جاء من طرقٍ عديدة، يقوّي بعضها بعضًا: إنّما مَثَلُ أهل بيتي فيكم كَمَثَلِ سفينة نوح، من ركبها نجا. وفي رواية مسلم: ومَن تخلّف عنها غرق. وفي روايةٍ: هلك. و: إنّما مَثَلُ أهل بيتي فيكم مَثَلُ باب حطّة في بني إسرائيل، مَن دخله غُفر له. وفي روايةٍ: غفر له الذنوب»[٥].

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٤، ص١٤٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٧٤، ص١٤٨.
(٣) الحشر: ٧.
(٤) النساء: ٥٩.
(٥) الصواعق المحرقة، ص٢٣٤.

وبناء على ذلك، فإن قولهم عليهم السلام هو قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقول الرسول هو قول الله عزّ وجلّ.

إذن، فالعقيدة تُعدّ المُشيّد الأبرز لمنظومة الأخلاق الإسلامية، حيث كان لها أثرٌ إيجابيٌّ كبير في حياة الفرد والمجتمع من الناحية الخُلُقية والاجتماعية.. وإلى غير ذلك من الآثار التي بلغت مبلغًا عظيمًا على جميع الصُّعُد، فكرية كانت أو نفسية أو خُلُقية أو اجتماعية أو سياسية أو غير ذلك.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



ملحدٌ يُطالب بأدلةٍ قطعية على الإيمان كالشمس

المستشكل: ملحد

الإشكال: لماذا لا يَحسم الإله أمر الإيمان به بأدلةٍ قطعيةٍ بحيث يؤمن كلّ من وقف عليها، كالشمس، ليقطع دابر المشكِّكين والملحدين والكافرين، ويَدخل الجميع في الإسلام؟! هل إنه غير قادر على ذلك؟ وغير قادرٍ على وضع أدلةٍ تجعل الناس تؤمن به؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

إنّ أصل أدلة الإسلام هي أدلةٌ عقليةٌ، ونقلية، ورصدية، وفطرية، وآحاد هذه الأدلة يوجب العلمَ اليقينيَّ بصحة الإسلام، فضلًا عن مجموعها!

وإن سُنّة الله في خلقه هي التكليف، وسُنته في التكليف هي خفاء

الحكمة، وسنّته في الحكمة هي دقائقها، والاستدلال بما عُلم على ما خَفي، ودقَّ يؤدي لا محالة إلى الفوز والنجاح، ومن يجعل مما يجهلُ حجابًا يحرمه من الاستدلال بما يَعلم، فهو لا محالة من الخاسرين.

والاعتراض المذكور أشبهُ ما يكون بالاعتراض على أسئلة الاختبار التي يضعها الأستاذ لتلاميذه، فيُعترض عليه: إذا كنت عالمًا بأجوبة هذه المسائل، فلماذا لا تضع أمام كلِّ سؤالٍ جوابَه المناسب ليحصل الجميعُ على درجةِ النجاح، فتنعدم بذلك حالةُ الرسوب!

فالذي يطلبُ دليلًا كالشمس على الإيمان بنسبة ١٠٠٪ فهو لا يعرف شيئًا عن الإيمان، وهو أبعد البشر عن العقل والمنطق ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا الله أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[(١)].

فمن قال: إنّ أدلة النظر المباشر تفيد الإيمان الاضطراريّ، فهو جاهلٌ بأصل التكليف ومناط الحساب وأحوال الناس، فالعقل مناطُ التكليف، ولو كان هناك من الأدلة ما يوجب علمًا اضطراريًّا بمجرد النظر ما تطلَّب الإيمان إعمال عقلٍ، ولا تَرتّب عليه ثوابٌ ولا عقاب.

إذ لو كانت أدلة الإيمان تشبه وجود الشمس لكان ذلك إيمانًا اضطراريًّا، لا يترتب عليه ثوابٌ ولا عقاب، ولما أصبح لوجود الإنسان

---

(١) البقرة: ١١٨.



التكليفيّ في هذا العالم معنى، وهذا ما قرّره القرآن الكريم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾[١].

والدليل الاضطراري هو دليلٌ لا يحتاج إلى إعمال عقلٍ أو تحرير نقلٍ مثل وجود الشمس، فهذا النوع من الأدلة لا يتعلق به عملٌ عقليٌّ، ولا يُساق أصلًا إلا لجملة المجانين! وشتان بين الأدلة الاضطرارية وبين الإيمان اليقينيّ! فالأول يحجب العقل، ولا يترتب عليه ثوابٌ أو عقاب. والثاني قائمٌ في آحادِ آحادِ الأدلة، فضلًا عن آحادها، فضلًا عن جملتها!

فالإيمان اليقينيّ يسهُل أن تصل إليه بالنظر في آحادِ آحادِ الأدلة باستخدام العقل أو الانقياد للفطرة والانتصار على هوى النفس. لكنّ الأدلة في ذاتها لا تفيد الإيمان الاضطراري بمجرد النظر المباشر!

فلا بدّ من إعمال العقل في الأدلة للوصول إلى الإيمان اليقيني، وإلا فمجرد النظر لا يفيد اضطرارَ الإيمان.

ولن يندم الكفار يوم القيامة على شيءٍ ندمَهم على إيقاف عقولهم عن الأدلة التي تفيد إيمانًا يقينيًّا ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٢].

---

(١) الأنعام: ٨.

(٢) الملك: ١٠.

فالله سبحانه قد بيّن للموقنين آياته ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[١]؛ وهذه الآيات والقرائن هي في غاية الوضوح والجلاء لمن يريد أن يؤمن، ويسلّم لله بالخلق والأمر ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٢].

يقول ميريت ستانلي كونجدن - عالمٌ طبيعيٌّ وفيلسوف، عضوٌ في الجمعية الأمريكية الطبيعية -: «نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها، حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته. ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها، ولكننا نرى آياته في أنفسنا وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود. وليست العلوم إلا دراسةَ خلق الله وآثار قدرته»[٣].

أما من يريد العبث فذلك اختياره، وتلك رؤيته. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ الله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٤].

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) الذاريات: ٢٠-٢١.

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) الله يتجلّ في عصر العلم، ص٢٦.

(٤) النحل: ١٠٩.

النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر بتدوين حديثه مطلقًا

السائل: كريم الماحوزي

السؤال: هل كان منع تدوين الحديث من قبل الشيخين أبي بكر وعمر له مستندٌ شرعيٌّ، أقصد أن الرسول كان قد منع من تدوين حديثه، فسار على سنته الشيخان؟ أرجو الردّ.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

لا إشكال، ولا شبهة في أن منع تدوين الحديث لم يحصل من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، بل الوارد في أحاديث كثيرة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر بتدوين حديثه مطلقًا، وفي مختلف الحالات، منها ما رواه الحاكم في مستدركه، وصححه، ووافقه عليه الذهبي أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب كلّ ما يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنهته قريش عن ذلك، وقالوا له: إنّك تكتب كلّ شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورسول

الله بشرٌ، يتكلّم في الرضا والغضب، فذَكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له: «اكتب، فو الّذي بعثني بالحقّ، ما يخرج منه إلّا الحقّ، وأشار إلى لسانه»(١).

والمنع -كما هو معروف- قد حصل من الشيخين أبي بكر وعمر، فقد روى الذهبي في "تذكرة الحفاظ": «أنّ الصدّيق جمع الناس بعد وفاة نبيّهم، فقال: إنّكم تحدّثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافًا، فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرِّموا حرامه»(٢).

وهذا النهي من أبي بكر (فلا تحدِّثوا عن رسول الله)، والإحالة على القرآن فقط، كان قد حذّر منه النبيّ ﷺ بحديثٍ صحيح صريح، وهذا يعدّ من علامات نبوته ﷺ التي كشف فيها بأنّ هناك من سيأتي بعده، وهو في موقع الحكم والمسؤولية، وسيمنع الناس من التحدُّث بحديثه ﷺ، ويحيلهم على القرآن فقط.

فقد روى أحمد في مسنده، وابن ماجة في سننه، وأبو داود في سننه، والبيهقي في سننه، وغيرهم، وصححه الألباني في صحيح الجامع، أنّ النبيّ ﷺ قال: «يوشك أن يقعد الرجل متكئاً على أريكته، يحدِّث بحديثٍ من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من

(١) انظر: المستدرك على الصحيحين، ج١، ص١٨٦.
(٢) تذكرة الحفاظ، ج١، ص٢-٣.

حلالٍ استحللناه، وما وجدنا فيه من حرامٍ حرّمناه، ألا وإنّ ما حرّم رسول الله مثل ما حرّم الله»[١].

وقوله ﷺ: «يوشك أن يقعد الرجل متكئاً على أريكته»، يشي بصاحب النهي عن التحدث بأحاديث رسول الله ﷺ والإحالة على القرآن، أنه في مقام الراحة والسيطرة، وهو كناية عن السلطة والتمكن، وقوله (يوشك) يكشف عن قرب حصول هذا الأمر بعده ﷺ، الأمر الذي حصل بالفعل؛ إذ نهى الشيخان أبو بكر وعمر ـ بمجرد تسلُّمهما للسلطة ـ الناس عن التحدث بأحاديث رسول الله ﷺ وكانوا يحيلون الناس على القرآن فقط!!

روى الحاكم في مستدركه، وصححه، ووافقه الذهبي، بسنده عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه، أنّ عمر بن الخطاب، قال لابن مسعود ولأبي الدرداء، ولأبي ذر: «ما هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحسبه حبسهم بالمدينة حتّى أصيب»[٢].

وهنا نستحضر عقيدة أهل السُّنة بعدالة جميع الصحابة، ونسأل: لماذا هذا الإنكار على الصحابة في نشرهم لحديث رسول الله ﷺ وهم الثقات العدول في نقلهم عن النبيّ ﷺ حسب عقيدة أهل السُّنة والجماعة في عدالة الصحابة؟!!

---

(١) مسند أحمد، ص١٣٠، ح١٧٢٣٣؛ سنن ابن ماجة، ج١، ص٦، سنن أبي داود؛ ج٤، ص٢٠٠؛ سنن البيهقي، ج٩، ص٣٣١، الإحكام لابن حزم، ج٢، ص٢١٠؛ صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج٢، ص١٣٦٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ج١، ص١٩٣، ح٣٧٤، وح٣٧٥.

فهل كان أو بكر وعمر يشكّان في نقل الصحابة عن رسول الله ﷺ؟!!

أو كانا يعتقدان بأنّ السُّنة لا تنفع مع وجود القرآن، والحال أنّ السنّة النبوية تعدّ البيان للقرآن الكريم، بنصّ قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[(١)].

وقد جاء الأمر الإلهي بالأخذ بها، كما في إطلاق قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[(٢)]، فلماذا هذا التضييق على المتحدّثين بها والمبلِّغين لها للمسلمين؟!!

ولم يقف الأمر عند حبس الصحابة في المدينة ومنعهم من التحدث بحديث رسول الله ﷺ، بل تعدّاه إلى طلب محوها، فقد جاء في "جامع بيان العلم وفضله" لابن عبد البر: «أنّ عمر بن الخطاب كتب إلى الأمصار: (من كان عنده شيءٌ منها فليمحُه)»[(٣)].

بل وجدنا ما يؤكد إصرار عمر بن الخطاب على محو السنّة النبوية وذلك لمّا طُعن، وأحسّ بدنوّ أجله، نادى ابنه عبد الله، فقال: «يا عبد الله بن عمر ناولني الكتب، فلو أراد الله أن يمضي ما فيها أمضاه، فقال له ابن عمر: أنا أكفيك محوها، فقال: لا والله لا يمحوها أحد غيري، فمحاها عمر بيده»[(٤)].

---

(١) المستدرك على الصحيحين، ج١، ص١٩٣، ح٣٧٤، وح٣٧٥.
(٢) الحشر: ٧.
(٣) جامع بيان العلم وفضله، ج١، ص٦٥.
(٤) الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣٤١؛ علوم الحديث ونصوص من الأثر، لعبد الرحمن

ولكن من أين علم عمر بأنّ هذا الذي أراد الله عز وجل أن يمضيه إلا أنّه لم يمضِ؟!!.

فهذا التصريح من عمر ينسف كلّ التبريرات التي يحاول البعض طرحها في الاعتذار لعمر في محوه للسنّة، من خوف اختلاطها بالقرآن الكريم، أو اتكال الناس عليها وترك القرآن، ونحوها من الدعاوى التي لا تقنع أيّ محقّق وعالم.

فـ «عمر» يكشف هنا عن وجود شيء في هذه السنّة لم يقدّر الله له الإمضاء، وهو مصرٌّ على محوه من دنيا الوجود.. فمن أخبر عمر بأن الله لم يقدّر لهذا الشيء الإمضاء، فهل اطّلع على الغيب مثلًا، أو هي عقيدة تفسير وقوع الأشياء بالقدر، هذه العقيدة الخاطئة التي يتبناها المشركون وأهل الجاهلية حين يفسرون وقوع الأشياء خارجًا بأنّها قدر مقدور من الله، يقول تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾[(١)].

فالمشركون يفسّرون حصول الأشياء خارجًا - وهو شركهم هنا - بأنّه قدر مقدورٌ من الله، فالله سبحانه هو من قدّر عليهم أن يكونوا مشركين، وإلّا كان له أن يمنعهم من الشرك.

الدوري، ص٤١.

(١) الأنعام: ١٤٨.

وهذه هي عقيدة الجبر، وهي عقيدة باطلة، ردّها القرآن الكريم بصريح قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾[(١)]

وقد يعتذر البعض عن الخليفتين أبي بكر وعمر بن الخطاب: بأنّهما امتثلا لنهي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم المرويّ في الكتابة عنه!

نقول: لو سلّمنا بوجود مثل هذا النهي، فهو منسوخ بشهادة علماء أهل السنّة أنفسهم، قال ابن القيم في "تهذيب مختصر سنن أبي داود": «قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن الكتابة والإذن فيها، والإذنُ متأخر، فيكون ناسخًا لحديث النهي، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في غزاة الفتح: "اكتبوا لأبي شاه" يعني خطبته التي سأل أبو شاه كتابتها، وأذن لعبد الله بن عمرو في الكتابة، وحديثه متأخر عن النهي؛ لأنه لم يزل يكتب، ومات وعنده كتابته، وهي الصحيفة التي كان يسميها "الصادقة"، ولو كان النهي عن الكتابة متأخرًا لمحاها عبد الله، لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بمحو ما كتب عنه غير القرآن، فلما لم يمحُها، وأثبتها، دل على أن الإذن في الكتابة متأخر عن النهي عنها، وهذا واضح»[(٢)].

وليس بعد الحق إلا الضلال.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) الأنْعَام: ١٤٨.

(٢) تهذيب مختصر سنن أبي داود، ج٥، ص٢٤٥.

توسُّل آدم بمحمدٍ وآله ثابتٌ عند الفريقين

السائل: محمد السريحي

السؤال: قرأت حديثًا دائمًا ما يردِّده البعض، فيه توسُّل آدم برسول الله وآل البيت، وأريد أن أعرف هل ذكرته كتب أهل السنة والجماعة، وإن كان مذكورًا فهل هو صحيح أو غير صحيح؟

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

توسُّل نبيّ الله آدم عليه السلام بمحمدٍ وآله (صلوات الله عليهم أجمعين)، مما ثبت عند السُّنة قبل الشيعة، فقد جاء في "مجموع الفتاوى" لابن تيمية: «وروى أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة: ومن طريق الشيخ أبي الفرج، حدّثنا سليمان بن أحمد، ثنا أحمد بن رشدين، ثنا أحمد بن سعيد الفهري، ثنا عبد الله بن إسماعيل المدني عن

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما أصاب آدم الخطيئة رفع رأسه، فقال يا ربّ بحقّ محمّد إلا غفرت لي، فأوحى إليه: وما محمّد؟ ومن محمّد؟ فقال: يا رب، إنك لما أتممت خلقي رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا عليه مكتوب: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، فعلمت أنّه أكرم خلقك عليك إذ قرنْتَ اسمه مع اسمك. فقال: نعم، قد غفرتُ لك، وهو آخر الأنبياء من ذريتك، ولولاه ما خلقتُك، فهذا الحديث يؤيِّد الذي قبله، وهما كالتفسير للأحاديث الصحيحة»[(١)].

وعن الكوثري في "محق التقوُّل": «روى القاضي عياض في (الشفا) بسندٍ جيد عن مالك، قال ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإنّ الله تعالى أدب قومًا، فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾[(٢)]. وقد مدح قومًا، فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ﴾[(٣)]. وذمّ قومًا، فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾[(٤)]. وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًّا، فاستكان لها أبو جعفر، فقال: يا أبا عبد الله (يعني الإمام مالك) أستقبلُ القبلة، وأدعو، أم استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال الإمام مالك: ولِمَ تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة

---

(١) مجموع الفتاوى، ج٢، ص١٥١.
(٢) الحجرات: ٢.
(٣) الحجرات: ٣.
(٤) الحجرات: ٤.

أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة. بل استقبلْه، واستشفع به، فيشفِّعه الله، قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُم﴾[(١)]»[(٢)].

وجاء في "الدر المنثور" للسيوطي: «وأخرج ابن النجار عن ابن عباس، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربه، فتاب عليه، قال: سأل: بحقّ محمّد وعلى وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليَّ، فتاب عليه»[(٣)].

وفي "شواهد التنزيل" للحافظ الحسكاني: «وعن الديلمي عن عليّ عليه السلام، قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وسلم عن قول الله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[(٤)]، فقال: إنّ الله أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بميسان، والحية بأصبهان، وكان للحية قوائم كقوائم البعير، ومكث آدم بالهند باكيًا على خطيئته حتى بعث الله إليه جبرئيل، وقال: يا آدم، ألم أخلقك بيدي؟ ألم أنفخ فيك من روحي؟ ألم أُسجِد لك ملائكتي؟ ألم أزوِّجك حواء أمتي؟ قال: بلى. قال: فما هذا البكاء؟ قال: وما يمنعني من البكاء، وقد أُخرجت من جوار الرحمان؟ قال: فعليك بهؤلاء الكلمات، فإنّ الله قابلٌ توبتك وغافرٌ ذنبك، قل: اللهم إني أسالك بحقّ محمّد وآل محمّد، سبحانك لا إله إلا أنت، عملت سوءًا، وظلمت نفسي، فتب عليَّ [إنك] أنت

---

(١) النساء: ٦٤.

(٢) محق التقول في مسألة التوسل، ص١٨٩.

(٣) الدر المنثور، ج١، ص٦١.

(٤) البقرة:٣٧.

التواب الرحيم. اللهم إني أسالك بحقّ محمّد وآل محمّد، عملت سوءًا، وظلمت نفسي، فتب عليَّ، إنّك أنت التواب الرحيم. فهؤلاء الكلمات التي تلقى آدم»[١].

وجاء عن الشوكاني في "الفتح الرباني" قوله: «في تفسير الكلمات التي تلقاها أبو الخليقة آدم عليه السلام من ربه- جلّ وعلا- فأخرج ابن المنذر عن محمد بن علي بن الحسن بن علي- رضي الله عنهم - قال: لما أصاب آدم الخطيئة عظُم كربُه، واشتدّ ندمه، فجاءه جبريل [عليه السلام] فقال: يا آدم هل أدلك على بابِ توبتك الذي يتوب الله عليك؟ قال: بلى يا جبريل. قال: قم في مقامك الذي تناجي فيه ربك، فمجِّده، وامدح، حتى قال في آخر الحديث: اللهم إني أسألك بجاه محمد عندك وكرامته عليك أن تغفر لي خطيئتي، فقال الله: يا آدم، من علّمك هذا؟ قال: يا رب إنك لما نفخت فيَّ الروح، فقمتُ بشرًا سويًّا، أسمعُ، وأبصرُ، وأعقلُ، وأنظر رأيت على ساق عرشك مكتوبًا: «بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمدٌ رسول الله، فلما لم أرَ على أثر اسمك اسم ملكٍ مقرَّب، ولا نبيّ مرسل غير اسمه علمت أنه أكرم خلقك عليك، قال صدقت يا آدم». وهذا وإن كان منقطعًا فإن من مثل الباقر محمد بن علي - رضي الله عنه - لا يقال بالرأي، ولا يطلقه شاكًّا في سنده»[٢].

---

(١) شواهد التنزيل، ج١، ص١٠١.
(٢) الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، ج١، ص٢٨٨.

وأخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد[1].

إذن، التوسّل ثابتٌ -كما بيَّناه- عند أهل السنة قبل الشيعة.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



(١) المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٦١٥.

شهاداتٌ في صدق نقل الشيعة عن أئمتهم

المستشكل: الشيخ القصاص

الإشكال: الروافض يكذبون على جعفر الصادق رضى الله عنه، فهم يكذبون في دينهم؛ لأنهم ينقلون كذبًا عن أئمتهم، ويؤسِّسون معتقدهم على أباطيل، ينسبونها إلى آل البيت رضي الله عنهم، وقد شهد بالأباطيل التي ينقلونها القاصي والداني.

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

هذه اتهاماتٌ باطلة وادعاءات كاذبة غير مدعمة بالأدلة على الصدق، فضلًا عن كونها سياسة تهدف إلى إقصاء الشيعة، ليس غير، وإلّا فالشيعة عند كلّ علماء الملل والنحل والتراجم متمسكون بأئمة أهل البيت عليهم السلام ومتابعون لهم، ويقولون بإمامتهم، وخير شهادة على اتباع الشيعة لأئمتهم والأخذ عنهم وأنهم صادقون فيما ينقلونه عنهم،



ما قال أعدى أعدائهم، وهما ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، الذين ما فتئا يذكران الشيعة بكلّ مثلبة، لكنهم عندما يجدّ الجدّ لا يستطيعون إخفاء الحقيقة.

قال ابن تيمية في كتابه "منهاج السنّة النبوية" عن المصدر الذي يعتمد عليه الشيعة في أخذ أحكام الدين: «وأمّا شرعياتهم فعمدتهم فيها على ما ينقل عن بعض أهل البيت، مثل أبي جعفر الباقر، وجعفر بن محمد الصادق وغيرهما»(١).

فهذه شهادةٌ صريحة بأن الشيعة يأخذون أحكام دينهم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين لا يختلف المسلمون في إمامتهم الدينية وورعهم وتقواهم.

ولا شك أن لشهادة الأعداء وزنها؛ إذ تدل على مدى الصدق الذي كان يتصف به الشيعة في النقل عن أئمة أهل البيت عليهم السلام عند الجميع، والفضل ما شهدت به الأعداء.

ودونك الآن شهادة ابن تيمية نفسه في صدق الشيعة في نقلهم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد جاء في كتابه "مسألة تعليق الطلاق" في سياق حديثه عن بعض الأحكام الشرعية في مسائل الطلاق ومَن وافق الشافعي فيها، قال: «ومن وافقه كابن حزم من السُّنة، وكالمفيد والطوسي والموسوي وغيرهم من شيوخ الشيعة، وهم ينقلون ذلك

---

(١) منهاج السنّة النبوية، ج٥، ص١٦٢.

عن فقهاء أهل البيت... [إلى أن يقول عن الشيعة]: لكن جمهور ما ينقلونه عن الشريعة موافق لقول جمهور المسلمين، فيه ما هو من مواقع الإجماع، وفيه ما فيه نزاع بين أهل السُّنة، فليس الغالب في ما ينقلونه عن هؤلاء الأئمة من مسائل الشرع الكذب، بل الغالب عليه الصدق»[(١)].

وإليك الشهادة الثانية من ابن قيم الجوزية الذي صرّح بصدق الشيعة في نقلهم عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، قال في كتابه "الصواعق المرسلة": «الوجه التاسع: أنّ فقهاء الإمامية من أولهم إلى آخرهم ينقلون عن أهل البيت أنّه لا يقع الطلاق المحلوف به، وهذا متواتر عندهم عن جعفر بن محمّد وغيره من أهل البيت، وهب أنَّ مكابرًا كذبهم كلّهم، وقال: قد تواطؤوا على الكذب عن أهل البيت، ففي القوم فقهاء وأصحاب علم ونظر في اجتهاد وإن كانوا مخطئين مبتدعين في أمر الصحابة، فلا يوجب ذلك الحكم عليهم كلّهم بالكذب والجهل، وقد روى أصحاب الصحيح عن جماعةٍ من الشيعة،، وحملوا حديثهم واحتج به المسلمون»[(٢)].

ويكفينا من القلادة ما أحاط بالعنق، والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.

---

(١) مسألة تعليق الطلاق، ص٦٩٧، ٦٩٨.

(٢) الصواعق المرسلة، ج١، ص٦١٦، ٦١٧.

(الناصبيُّ) لغة واصطلاحًا

السائل: أحمد الجياشي

السؤال: نسمع عبارة (النواصب) ولا نعلم مَن هم؟ هل بالإمكان تحديد تعريفٍ لمصطلح (النواصب) تأصيلًا وتأريخًا؟ ومَن يندرج تحته؟ وهل توجد روايات عند أهل السُّنّة تقول بأنَّ المبغِض والمحارب لعليّ وأهل البيت عليهم السلام ابن زنا .. فالبعض يقول: هذه من مرويّات الشيعة فقط ؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

النصب في اللغة هو المعاداة والمحاربة، قال الجوهري في "الصحاح": «نصبت لفلان نصبًا، إذا عاديته، وناصبته الحرب مناصبةً»[(١)].

(١) الصحاح في اللغة، ج١، ص٢٢٥، مادة "نصب".

وفي الاصطلاح يطلق اللفظ على مَن بغض أميرَ المؤمنين عليًّا عليه السلام وعاداه.

قال الفيروزآبادي: «النواصب والناصبة وأهل النصب المتدينون بِبُغض عليٍّ (رضي الله عنه)؛ لأنّهم نصبوا له، أي عادوه»[١].

وقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حديثٍ صحيح متظافر، رواه الفريقان بأنّه قال لعليٍّ عليه السلام: «لا يبغضك إلّا منافق»[٢].

وجاء ذكر النصب والنواصب في جملةٍ من أحاديث المعصومين عليهم السلام، نذكر منها:

١ - في ثواب الأعمال للصدوق (رحمه الله): عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «مدمن الخمر كعابدِ الوثن، والناصب لآل محمّد ص شرٌّ منه. قلت: جُعلت فداك، ومن شرٌّ من عابد الوثن؟! فقال: إنَّ شارب الخمر تدركه الشفاعة يومًا، وإنَّ الناصب لو شفع أهل السماوات والأرض لم يشفعوا»[٣].

وفيه أيضًا: عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لو أنَّ كلّ ملك خلقه الله عزّ وجل، وكلّ نبي بعثه الله، وكلّ صدّيق، وكلّ شهيد شفعوا في ناصب لنا

(١) القاموس المحيط، ج١، ص١٣٣.
(٢) صحيح مسلم، ج١، ص٦٠، برقم: ٧٨.
(٣) ثواب الأعمال، ص٢٠٧

أهل البيت أن يخرجه الله (عزّ وجل) من النار ما أخرجه الله أبدًا، والله (عزّ وجل) يقول في كتابه: ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾»[(١)].

٣ - وعنه في "علل الشرائع": عن محمّد بن الحسن، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن الحسن بن علي بن فضال، عن الحسن بن علي، عن عبد الله بن بكير، عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث - قال: «وإياك أن تغتسل من غسالة الحمام، ففيها تجتمع غسالة اليهودي، والنصراني، والمجوسي، والناصب لنا أهل البيت، وهو شرّهم، فإنَّ الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقًا أنجس من الكلب، وإنّ الناصب لنا أهل البيت لأنجس منه»[(٢)].

وهذا المقدار من حرمة بغض أهل البيت عليهم السلام متفق عليه بين السنّة والشيعة.

فقد جاء عن ابن تيمية في أجوبته على مسائل مقدم المغولي ما نصُّه:

«قال (أي مقدم): فما تحبّون أهل البيت؟

قلت (ابن تيمية): محبّتهم عندنا فرضٌ واجبٌ يؤجر عليه.

قال مقدم: فمن يبغض أهل البيت؟

(١) المصدر نفسه، ص٢٠٨.
(٢) علل الشرائع، ج١، ص٢٩٢.

قلت: من أبغضهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يَقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا»[١].

وجاء عن الشيخ ابن عثيمين: «النواصب، هم الذين ينصبون العداء لآل البيت، ويقدحون فيهم، ويسبّونهم»[٢].

فهذا المقدار من كون بغض أهل البيت عليهم السلام ومسبّتهم والقدح فيهم، فيعدّ نصبًا هو محلّ اتفاق بين الفريقين، ولكن اختلف في الزائد عنه من معاداة شيعتهم أو من لم يعتقد بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام وقدّم غيره عليه، هل يعدّ هذا نصبًا أو لا؟!

ذهب جملة من علماء الشيعة الإمامية (أعزّهم الله) إلى كونه نصبًا.

قال المحقّق الهمداني رحمه الله: «إنّ المراد بالناصب في الروايات - على الظاهر - مطلق المخالفين، لا خصوص من أظهر عداوة أهل البيت، وتديّن بنصبهم. كما يشهد لذلك خبر المعلَّى بن خنيس، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت؛ لأنّك لا تجد أحدًا يقول: أنا أبغض محمّدًا وآل محمّد، ولكنّ الناصب من نصب لكم، وهو يعلم أنّكم تتولّوننا، وتتبرّؤون من أعدائنا. وهذه الرواية - مع ما فيها من تفسير النصب بما لا ينفكّ عنه عامّة المخالفين - تشهد

(١) كتب ورسائل ابن تيمية في العقيدة، ج٤، ص٤٨٨.
(٢) شرح الواسطية، ج٢، ص٢٨٣.

بندرة وجود الناصب بالمعنى الأخصّ في عصر الصادق عليه السّلام، فيبعد حمل الأخبار المستفيضة المتقدّمة على إرادته بالخصوص»[١].

بينما صرّح الشيخ الأنصاري قدّس سرّه بأنّ عنوان (النصب) لا ينطبق على مطلق المخالفين، فأهل الخلاف على أقسام: «منهم ناصب، ومنهم مستضعَف، ومنهم الواسطة بينهما، والمحكوم بنجاسته بالأخبار والإجماع هو الأوّل، دون الثانيين»[٢].

فالمسألة خلافية من هذه الناحية بين العلماء.

هذا، وقد رُتّبت على هذا العنوان (النصب) جملةٌ من الأحكام الفقهية، كالحكم بنجاستهم وعدم تزويجهم وأكل ذبائحهم، ونحوها من الأحكام المعروفة في كتب الفقه عند الإمامية.

أما كون المبغض لأهل البيت عليهم السلام والمحارب لهم ابن زنا، فلم تنفرد بذكرها مرويّات الشيعة فقط، بل رواها أهل السنّة في كتبهم أيضًا، وإليك جملةً من هذه المرويات:

١ - عن أبي سعيد الخدري، قال: «كنّا معشر الأنصار نبور [أي نجربهم، ونختبرهم، باره يبوره بورًا: جربه واختبره] أولادنا بحبّهم عليًّا رضي الله عنه، فإذا ولد فينا مولود، فلم يحبه عرفنا أنّه ليس منا»[٣].

(١) مصباح الفقيه، ج٢، ص٢٨٨.
(٢) كتاب الطهارة، ج٥، ص١٤٧.
(٣) أسنى المطالب، للحفاظ الجزري، ص٨؛ شرح ابن أبي الحديد، ج١، ص٣٧٣.

٢ - عن عبادة بن الصامت: «كنّا نبور أولادنا بحبّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فإذا رأينا أحدهم لا يحبّ عليّ بن أبي طالب علمنا أنّه ليس منا، وأنّه لغير رشدة» قال الحافظ الجزري بعد ذكر هذا الحديث: «وهذا مشهورٌ من قديمٍ وإلى اليوم أنّه ما يبغض عليًّا رضي الله عنه إلّا ولد الزنا»[(١)].

٣ - عن أبي بكر، قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، خيم خيمة، وهو متكئ على قوس عربية، وفي الخيمة عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين، فقال: معشر المسلمين! أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، حرب لمن حاربهم، وليٌّ لمن والاهم، لا يحبّهم إلّا سعيد الجَدّ طيب المولد، ولا يبغضهم إلّا شقي الجدّ رديء المولد»[(٢)].

٩ - عن أبي مريم الأنصاري عن عليّ عليه السلام، قال: «لا يحبّني كافر ولا ولد زنا»[(٣)].

١٠ - أخرج ابن عدي والبيهقي وأبو الشيخ والديلمي عن رسول صلى الله عليه وآله وسلم، أنّه قال: «من لم يعرف عترتي والأنصار والعرب فهو لإحدى الثلاث: إمّا منافق. وإمّا ولد زانية. وإمّا امرؤ حملت به أمه في غير طهر»[(٤)].

---

(١) أسنى المطالب، ص٨؛ النهاية، لابن الأثير، ج١، ص١١٨.
(٢) الرياض النضرة، للحافظ محب الدين الطبري، ج٢، ص١٨٩.
(٣) شرح ابن أبي الحديد، ج١، ص٣٧٣.
(٤) الصواعق المحرقة، لابن حجر، ص١٠٣، ١٣٩؛ الفصول المهمة، ص١١، الشرف المؤبد، ص١٠٣، وليس فيه كلمة: والعرب.

١١ - روى المسعودي في "مروج الذهب" عن كتاب الأخبار لأبي الحسن علي بن محمّد بن سليمان النوفلي بإسناده عن العباس بن عبد المطلب، قال: «كنت عند رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إذ أقبل عليّ بن أبي طالب، فلما رآه أسفر في وجهه، فقلت: يا رسول الله، إنّك لتسفر في وجه هذا الغلام. فقال: يا عمّ رسول الله، والله، اللهُ أشدّ حبًّا له مني، ولم يكن نبيٌّ إلّا وذريته الباقية بعده من صلبه، وإنّ ذريتي بعدي من صلب هذا، إنّه إذا كان يوم القيامة دعي الناس بأسمائهم وأسماء أمهاتهم إلّا هذا وشيعته، فإنّهم يُدْعَون بأسمائهم وأسماء آبائهم لصحّة ولادتهم»(١).

١٢ - عن ابن عباس، قال: «قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: رأيت النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلم عند الصفا، وهو مقبلٌ على شخص في صورة الفيل، وهو يلعنه، فقلت: ومن هذا الذي يلعنه رسول الله؟! قال: هذا الشيطان الرجيم، فقلت: والله يا عدو الله لأقتلنك ولأريحنّ الأمة منك. قال: والله ما هذا جزائي منك. قلت: وما جزاؤك مني يا عدو الله؟! قال: والله ما أبغضك أحد قط إلّا شركت أباه في رحم أمه»(٢).

فهذه النقولات - كما ترى - هي من مصادر سنية، وليست شيعية، تقول بأنّ مبغض عليٍّ عليه السلام وأهل البيت فضلًا عن محاربهم هو

---

(١) مروج الذهب، ج٢، ص٥١.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه، ج٢، ص٢٩٠؛ والكنجي في (الكفاية)، ص٢١، عن أربع من مشايخه.

ابن زنا، وقد شاء الله سبحانه أن يجعل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الفاروق بين الحقّ والباطل شرعًا وتكوينًا.

والحمد لله أوّلًا وآخرًا، وصلّى الله، وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين المنتجَبين.



آية: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ لا تنفي عذاب القبر

السائل: أمجد المياحي

السؤال: نرجو منكم تفسير قوله تعالى في سورة يس، الآية ٥٢: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، عن معنى الرقود هنا، وهل هو فعلًا من آيات إنكار عذاب القبر بدعوى أنّ الإنسان إذا كان يعذَّب في قبره فكيف يكون راقدًا؛ لأنَّ الرقود يعطي معنى الراحة والسكينة، وسؤال أخير: من هم القائلون: هذا ما وعد الرحمن ؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله المطهرين..

المراد بالمرقد في الآية الكريمة الممات، وهو استعمال على نحو الاستعارة؛ إذ شبّه حال موتهم بحال نومهم؛ لأنّ حالة النوم هي أشبه الأشياء بحالة الموت، وكذلك يوجد تشبيهٌ آخر متداول هو تشبيه

حال الإحياء والنشور بحال الاستيقاظ. جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي بعثني بالحقّ لتموتنَّ كما تنامون، ولتبعثنَّ كما تستيقظون»[١].

وفي "تلخيص البيان في مجازات القرآن" للشريف الرضي: «قال بعضهم: إنّ الاستعارة هنا أبلغ من الحقيقة؛ لأنّ النوم أكثر من الموت، والاستيقاظ أكثر من الإحياء بعد الموت؛ فالإنسان الواحد يتكرر عليه النوم واليقظة مرات، وليس كذلك حال الموت والحياة»[٢].

أمّا أنّ هذه الآية تنفي عذاب القبر بدعوى أنّه لو كان الكافر معذّبًا في قبره فكيف يكون راقدًا؛ لأنَّ الرقود يعطي معنى الراحة والسكينة، فنقول: عذاب القبر ثابتٌ بدليلي القرآن والسنّة، فلا مجال لإنكاره، وعليه ينبغي الجمع بينه وبين ما ينافيه ظاهرًا من آيات وروايات، هكذا تقتضي صناعة الجمع بين الأدلة عند أهل العلم.

ومقتضى الجمع بين الآية - مورد الكلام - وثبوت عذاب القبر أن يكون المراد منها أحد احتمالين: الأوّل: أنّه لشدّة هول يوم القيامة وذهولهم وفزعهم ممّا يرونه فيه اعتبروا ما عانوه من عذاب البرزخ كأنّه أشبه بالرقاد المريح لهم.

الثاني: أنَّ عذاب القبر ينقطع لفترة، ولا يتصل بيوم البعث.

وكلا الاحتمالين أشار إليه المفسّرون في تفاسيرهم:

(١) الوافي، للكاشاني، ج٢٥، ص٥٩٨.
(٢) تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص٢٧٥.

قال الشيخ الطوسي في "التبيان": «فإنْ قيل: هذا ينافي قول المسلمين الذين يقولون: الكافر يعذَّب في قبره؛ لأنّه لو كان معذبًا لما كان في المنام!.

قيل: يحتمل أنْ يكون العذاب في القبر، ولا يتصل إلى يوم البعث، فتكون النومة بين الحالين. يحتمل لو كان متصلًا أن يكون ذلك عبارة عن عِظَم ما يشاهدونه، ويحضرون فيه يوم القيامة، فكأنّهم كانوا قبل ذلك في مرقدٍ، وإن كانوا في عذابٍ لما كان قليلًا بالإضافة إلى الحاضر»[١].

وعن الطبري في تفسيره: «قوله: قالوا: (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)، يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون لمّا نُفخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة، فردّت أرواحهم إلى أجسامهم، وذلك بعد نومةٍ ناموها: يا ويلنا، من بعثنا من مرقدنا، وقد قيل: إنّ ذلك نومةٌ بين النفختين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[٢].

وعن البغوي في تفسيره: «قال أهل المعاني: إنّ الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم، فقالوا: يا ويلنا، من بعثنا من مرقدنا»[٣].

أمّا قوله تعالى: ﴿هَـذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾، فقد تعدّدت الأقوال

(١) التبيان في تفسير القرآن، ج٨، ص٤٦٧.
(٢) تفسير الطبري، ج٢٣، ص٢٠.
(٣) تفسير البغوي، ج٤، ص١٥.

فيه على أربعة أقوال:

الأول: أنّه حكايةٌ عن قول المؤمنين.

الثاني: أنّه قول الكافرين.

الثالث: أنه قول الملائكة.

الرابع: أنه جواب من الله عزّ وجل.

وقد ذكر هذه الأقوال جمعٌ من المفسّرين في كتبهم[١].

واستظهر بعضهم - كالطوسي والطباطبائي - أنّه قول الكافرين، لظاهر الآيات، قال السيد الطباطبائي في "الميزان": «يظهر أنّ قوله: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ إلخ، وقوله: ﴿هَـذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ إلخ. من قولهم [أي قول الكافرين].

وقيل: قوله: (وصدق المرسلون) عطف على مدخول (ما)، و(ما) موصولة أو مصدرية و(هذا ما وعد الرحمن) إلخ جوابٌ من الله أو من الملائكة أو من المؤمنين لقولهم: (من بعثنا من مرقدنا)؟

وغير خفي أنّه خلاف الظاهر، وخاصّة على تقدير كون (ما) مصدرية، ولو كان قوله: (هذا ما وعد الرحمن) إلخ. جوابًا من الله أو الملائكة لقولهم: (من بعثنا من مرقدنا) لأجيب بالفاعل دون الفعل؛ لأنّهم سألوا عن فاعل البعث! وما قيل: إنّ العدول إليه لتذكير كفرهم وتقريعهم عليه مع تضمنه الإشارة إلى الفاعل هذا. لا يغني طائلًا»[٢].

---

(١) انظر: التبيان للطوسي، ج٨، ص٤٦٧؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج١٥، ص٤٢.
(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج١٧، ص١٠٠.

المحتويات

